مختارات ولطائف

الجزء الثاني

عبد الملك القاسم

خير الملوك...

* قال كسرى لحكماء الفرس -وقد اجتمعوا إليه-: ليتكلم كل واحد منكم بكلمات ولا يكثرها. فقال أحدهم: خير الملوك أرحبهم ذراعًا عند الضيق، وأعدلهم حكمًا عند الغضب، وأرحمهم إذا سُلِّطَ، وأبعدهم من الظلم عند القدرة، وأطلبهم لرضاء الرعية، وأبسطهم وجهًا عند المسألة. فقال كسرى: حسبي هذا، لا أريد عليه مزيدًا!

***

الصدق...

* حكي أن مُضحكًا حكى في مجلس يزدجرد حكاية كذب فيها على نفسه ليضحك الملك، فقال له يزدجرد: ويحك! أما علمت أنا نمنع رعيتنا من الكذب ونعاقبهم عليه؟ فقد قالت الحكماء: الكذب كالسموم، تقتل إذا استعملت مفردة، وقد تدخل في تراكيب الأدوية فينتفع بها.

ولا ينبغي للملك أن يطلق الكذب إلا لمن يستعمله في كيد الأعداء وتألف البعداء. كما لا ينبغي أن يطلق السموم إلا للمأمونين عليها، المانعين لها من المفسدين.

* رأى الفتح بن خاقان شيئًا في لحية المتوكل، فقال: يا غلام، هات مرآة أمير المؤمنين، فجاء بها، فنظر المتوكل وأخذ بيده.

***

اللحن...

* قال الشعبي: قال لي الحجاج في ملأ من الناس: كم عطاؤك؟

فقلتُ: ألفي درهم!

فالتفت إلى أهل الشام وجعل يسارّهم ويقول: لحن العراقي! ثم قال على رؤوس الملأ: كم عطاؤك يا شعبي؟

فقلتُ: ألفا درهم.

فقال: أليس قلتَ لي: ألفي درهم؟

فقلت: أصلحك الله، إنك لحنتَ فلحنتُ، وكرهت أن تكون رجلًا وأنا فارس!

فقال: أحسنت وأجازني.

***

* سأل رجلٌ بهلولًا فقال: ما تقول في رجل مات وخلف زوجة وأمًّا وبنتًا؟

فقال: اليُتم للبنت، والثُّكل للأم، وخراب البيت للزوجة!

***

* شم أعرابي إبطيه، فقطب وجهه وقال: أخرجني الله من بينكما!

***

* قال كسرى يومًا لبعض عماله: كيف نومك بالليل؟

فقال: أنامه كله!

فقال: أحسنت، لو سرقت ما نمت هذا النوم!

***

* وكان كسرى إذا غضب على أحد من خاصته هجره، ولم يقطع عنه خيره، فقيل له في ذلك فقال: نحن نعاقب بالهجران لا بالحرمان.

***

* لما ظهر ماني الزنديق في أيام سابور بن أزدشير، ودعا الناس إلى

مذهبه، أخذه سابور، فأشار عليه نصحاء دولته بقتله، فقال: إن قتلته من غير أن أقطعه بالحجة قال العامة بقوله، ويقولون: ملك جابر قتل زاهدًا، ولكني أناظره، فإذا غلبتُه بالحجة قتلتُه.

***

* قال بعض العلماء: من شغل نفسه بغير المهم أضرَّ بالمهم.

***

* قال سعيد بن العاص: ما شاتمت رجلًا منذ كنتُ رجلًا، لأني لا أشاتم إلا أحد رجلين: إما كريم فأنا أحق من أحتمله، وإما لئيم فأنا أولى من رفع نفسه عنه.

***

* قال بعضهم: لا تسأل الحوائج إلى غير أهلها، ولا تسألها في غير حينها، ولا تسأل ما لست له مستحقًّا، فتكون للحرمان مستوجبًا.

***

مبنى العبادة...

* العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول: الخوف، والرجاء، والمحبة.

وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين.

فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء.

وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف.

وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء.

* قال رجل لرابعة العدوية: إني أحبك في الله.
قالت: فلا تعص الذي أحببتني له.

***

* قال الأحنف بن قيس: آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السريرة. وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة الرعية مخالفة السادة، وآفة الرؤساء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرئاسة، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة العدول قلة الورع، وآفة القوي استضعاف الخصم، وآفة الجريء إضاعة الحزم، وآفة المنعم قبح المنّ، وآفة المذنب حسن الظن.

***

* ثلاثة طويلة: ليالي البائس، وأيام الهم، وانتظار الفرج.

***

بين الحياة والموت...

ذكر أن إبراهيم بن المهدي، لما طال استتاره من المأمون، ضاق صدره، فخرج ليلة من موضع كان فيه مستخفيًا، يريد موضعًا آخر، في زي امرأة، وكان عطِرًا.

فعرض له حارس، فلما شم منه رائحة الطيب، ارتاب به، فكلمه، فلم يجب، فعلم أنه رجل، فضبطه.

فقال له: خذ خاتمي، فثمنه ثلاثون ألف درهم وخلني فأبى، وعلق به، وحمله إلى صاحب الشرطة، فأتى به المأمون.

فلما أدخل داره، وعرف خبره، أمر بأن يدخل إليه، إذا دعي، على الحال التي أخذ عليها.

ثم جلس مجلسًا عامًّا، وقام خطيب بمحاضرة المأمون، يخطب بفضله، وما رزقه الله، جلت عظمته، من الظفر بإبراهيم.

وأدخل إبراهيم بزيه، فسلم على المأمون، وقال: يا أمير المؤمنين، إن ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناولته يد الاغترار، بما مد له من أسباب الرجاء، لم يأمن عادية الدهر، ولست أخلو عندك من أن أكون عاقلًا أو جاهلًا، فإن كنت جاهلًا فقد سقط عني اللوم من الله تعالى، وإن كنت عاقلًا، فيجب أن تعلم أن الله - عز وجل - قد جعلك فوق كل ذي عفو، كما جعل كل ذي ذنب دوني، فإن تؤاخذ، فبحقك، وإن تعف، فبفضلك، ثم قال:

ذنـــــبي إليــــــك عظـــــيم   وأنـــــــت أعظـــــم منــــــه

فخـــــــذ بحقــــــك أو لا   فاصــــفح بحلمـــــك عنـــــه

إن لم أكـــــــن في فعـــــالي   مــــــن الكـــــرام فكنــــــه

وقال:

أذنبـــــت ذنبًـــــا عظيمًـــــا   وأنــــــت للعفـــــو أهـــــل

فـــــإن عفـــــوت فمـــــنٌّ   وإن جزيـــــــت فعـــــــدل

قال: فرقَّ له المأمون، وأقبل على أخيه أبي إسحاق وابنه العباس، والقواد، وقال: ما ترون في أمره؟

فقال بعضهم: يضرب عنقه.

وقال البعض: تقطع أطرافه، ويترك إلى أن يموت، وكلٌّ أشار بقتله، وإن اختلفوا في القتلة.

فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد: ما تقول أنت يا أحمد؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن قتلته، وجدت مثلك قد قتل مثله، وإن عفوت عنه، و لم تجد مثلك قد عفا عن مثله، فأي أحب إليك، أن تفعل فعلًا تجد لك فيه شريكًا، أو أن تنفرد بالفضل؟

فأطرق المأمون طويلًا، ثم رفع رأسه فقال: أعد عليَّ يا أحمد، فأعاد.

فقال المأمون: بل ننفرد بالفضل، ولا رأي لنا في الشركة.

فكشف إبراهيم المقنعة عن رأسه، وكبَّر تكبيرة عالية، وقال: عفا - والله - أمير المؤمنين عني بصوت كاد الإيوان أن يتزعزع منه، وكان طويلًا، آدم، جعد الشعر، جهوري الصوت.

فقال له المأمون: لا بأس عليك يا عم، وأمر بحبسه في دار أحمد بن أبي خالد.

فلما كان بعد شهر، أحضره المأمون، وقال له: اعتذر عن ذنبك.

فقال: يا أمير المؤمنين، ذنبي أجلُّ من أن أتفوَّه معه بعُذر، وعفو أمير المؤمنين أعظم من أن أنطق معه بشكر، ولكني أقول:

تفديك نفسي أن تضيق بصالحٍ ... والعفو منك بفضل جودٍ واسعِ

إن الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للإمام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابة ... عفو ولم يشفع إليك بشافع

ورحمت أطفالًا كأفراخ القطا ... وحنين والدة بقلب جازع

ردَّ الحيـــــاة إليّ بعـــــد ذهابهـــا

كـــرم المليـــك العـــادل المتواضـــع

فقال له المأمون: لا تثريب عليك يا عم، قد عفوت عنك، فاستأنف الطاعة متحرزًا من الظنة يصف عيشك، وأمر بإطلاقه، ورد عليه ماله وضياعه، فقال إبراهيم يشكره في ذلك:

رددت مـــالي ولم تبخـــل علـــي بـــه

وقبـــل ردك مـــالي قـــد حقنـــت دمـــي

فأُبـــتُ عنـــك وقـــد خـــولتني نعمًـــا

هما الحياتـــان مـــن مـــوت ومـــن عـــدم

فلـــو بـــذلت دمـــي أبغـــي رضـــاك بـــه

والمال، حتى أســـل النعـــل مـــن قـــدمي

مـــا كـــان ذاك ســـوى عاريـــة رجعـــت

إليـــك لـــو لم تعرهـــا كنـــت لم تُلَـــمِ

وقـــام علمـــك بي فـــاحتج عنـــدك لي

مقـــام شـــاهد عـــدل غـــير متـــهم

فـــإن جحـــدتك مـــا أوليـــت مـــن نعـــم

إني لبـــاللؤم أولى منـــك بـــالكرم

فقال المأمون: إن من الكلام كلامًا كالدُرّ، وهذا منه، وأمر لإبراهيم بخلع ومال، قيل: إنه ألف ألف درهم.

وقال له: يا إبراهيم، إن أبا إسحاق، وأبا عيسى، أشارا عليَّ بقتلك.

فقال إبراهيم: ما الذي قلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟

قال: قلت لهما: إن قرابته قريبة، ورحمه ماسة، وقد بدانا بأمر، وينبغي أن نستتمه، فإن نكث فالله مغيّر ما به.

قال إبراهيم: قد نصحا لك، ولكنك أبيت إلا ما أنت أهله يا أمير المؤمنين، ودفعت ما خفت، بما رجوت.

فقال المأمون: قد مات حقدي وقد عفوت عنك، وأعظم من عفوي عنك أنني لم أجرّعك مرارة امتنان الشافعين.

***

فرارًا من الفقر...

* بينما عبد الله بن جعفر راكب، إذ تعرض له رجل في الطريق، فمسك بعنان فرسه، وقال: سألتك بالله أيها الأمير أن تضرب عنقي!

فبهت فيه عبد الله وقال: أمعتوه أنت؟

قال: لا والله.

قال: فما الخبر؟

قال: لي خصم ألد قد لزمني وألح وضيق عليَّ، وليس لي به طاقة!

قال: ومن خصمك؟

قال: الفقر!

فالتفت عبد الله لفتاه وقال: ادفع له ألف دينار.

ثم قال له: يا أخا العرب، خذها ونحن سائرون، ولكن إذا عاد إليك خصمك متغشمًا فأتنا متظلمًا فإنا منصفوك منه إن شاء الله!

فقال الأعرابي: والله إن معي من جودك ما أدحض به حجة خصمي بقية عمري.

ثم أخذ المال وانصرف!

***

الأعرابي...

* قال الأصمعي: بينا أنا في بعض الأسفار، إذ رأيت أعرابيًا في أيام البرد الشديد، وقد أوقد نارًا، وهو يصطلي بها، وعليه عباءة مخرفة، وهو شيخ كبير، وكان ينشد هذه الأبيات:

إذا الله أعطـــاني قميـــصًا وجبـــة
أصـــلي لـــه حـــتى أغيـــب في القـــبر
وإن لم يكـــن إلا عبـــاءة قـــد تخرقـــت
فمالي ببرد المـــاء يـــا رب مـــن صـــبر!

قال الأصمعي: فقلت له: يا أخا العرب، إن كساك الله تصلي؟ قال: أي ورب الكعبة. قال: فأعطيته كساء كان عليَّ، فأخذه ولبسه، ثم تيمم والماء بين يديه! فقلت له: يا هذا لا يجوز لك أن تتيمم والماء بين يديك. فقال: أنا أعلم منك بهذا.

ثم توجه يصلي قاعدًا، فقلت له: يا هذا ولا يجوز لك أيضًا أن تصلي قاعدًا وأنت قادر على القيام، قال: بلى، فإني أجد الاعتذار إلى ربي.

ثم كبر وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وجعل ينشد في صلاته:

إليـــك اعتـــذاري في صـــلاتي قاعـــدًا
على غـــير طهـــر مومئًـــا نحـــو قـــبلتي
فمـــالي بـــبرد المـــاء يـــا رب طاقـــة
ورجل لا تقـــوى علـــى حمـــل طـــاقتي
ولكنِّي أحصي صلاتي قاعدًا
وأقـــضيكها يـــا رب في وقـــت طـــاقتي

***

في الحمق...

* يقال: إن الأحمق إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن قال فحش، وإن سئل خاصم، وإن سأل ألحّ، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك قهقه، وإن بكى صرخ!

***

ذكاء وشهامة...

* قيل: غضب بعض الخلفاء على شخص فانهزم، فلما انهزم أمر بأخذ جميع ما كان له من الأموال. وكان له أخ، فأمر أيضًا أن يؤخذ جميع ماله، فحضر ذلك الرجل عند أرباب الدولة وسألهم الشفاعة، فاعتذروا له في ذلك، فجاء إلى العلامة ابن الجوزي وسأله ذلك، فقال له: إذا صعدت المنبر فاحضر عندي وقف بإزاء المنبر، قال: فلما صعد ابن الجوزي على المنبر حضر ذلك الرجل والتصق بالمنبر والخليفة قاعد تجاه المنبر، فألقى ابن الجوزي رقعة من يده إلى الخليفة وفيها هذه الأبيات، وأنشد بها أيضًا وهو على المنبر:

قفـــي ثم أخبرينـــا يـــا ســـعاد
بـــذنب الطـــرف لم ســـلب الفـــؤاد
وأي شـــــريعة حكمـــــت إذا مـــا
جـــنى زيـــد بـــه عمـــرو يقـــاد

فحين قرأ الخليفة الرقعة، ورأى ذلك الرجل وهو ملتصق بالمنبر، عرفه، وأمر بأن يرد عليه جميع ماله، ورجع الرجل مسرورًا بحقه.

***

* قيل: إن سهل بن هارون صنف كتابًا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت فيه.

***

أين الرأس...؟

* وحكى دعبل قال: كنا عند سهل بن هارون يومًا، فوجدناه يتضور جوعًا، ثم إنه نادى غلامًا له وقال: ويحك أين الغداء؟ فجاء بقصعة فيها ديك مطبوخ، قال: فتأمله ثم قال: أين الرأس؟ فقال الغلام: رميته، قال: والله إني لأكره أن يرمى برجله فكيف برأسه! ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء، ومنه التي يضرب بها المثل فيقال: شراب كعين الديك! ودماغه يفيد لوجع الكلية، و لم أر عظمًا أهش تحت الأسنان من عظم رأسه! وهبك ظننت أني لا آكله، أما قلت عنده من يأكله؟ انظر في أي مكان رميته فأتني به، فقال: والله ما أدري أين رميته؟ قال: لكني أدري وأعرف، رميته في بطنك، الله حسبك.

***

سوء الخاتمة...

* أخبرنا أبو محمد عبد الحق أن رجلًا كان واقفًا بإزاء داره، وكان يشبه دار الحمام، فمرت به امرأة جميلة وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فأشار إليها به، فلما دخلت دخل معها، فعلمت أنه يريد منها ما يراد من النساء، فأظهرت السرور وقالت: نشتهي أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا، فخرج مبادرًا ليأتيها بما سألت، وغفل عن الباب، فلما جاء لم يجدها في الدار، فذهب عقله وصار كالمجنون، وكان يمشي في الطريق ويقول:

مـــن لي بقائلـــة هـــام الفـــؤاد بهـــا
أيـــن الطريـــق إلى حمـــام منجـــاب؟

وبقي على ذلك مدة، فمر ذات يوم ببعض المحلات وهو يقول: من لي بقائلة.. إلى آخره. فأجابته امرأة من طاق بهذا البيت:

هـــلا جعلـــت عليهـــا إذ ظفـــرت بهـــا
حرزًا على الدار أو قفلًـــا علـــى البـــاب؟

فزاد هيمانه واشتد هيجانه، فلما حضرته الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول:

مـــن لي بقائلـــة هـــام الفـــؤاد بهـــا
أيـــن الطريـــق إلى حمـــام منجـــاب؟

حتى مات على هذه الحالة، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة!

***

زيت السراج...

* حكي أن أرسل السرَّاج الورَّاق غلامه إلى السوق ليشتري له زيتًا، فلما أحضر صبّ عليه عسلًا، وأكل لقمة، فوجده زيت السراج! فذهب إلى الزيات، فسبه، فقال: يا سيدي لا ذنب لي، فقد قال عبدك: أعطني زيتًا للسراج!

***

حكم...

* حكي أن رجلًا مر براهب في صومعة، فقال له: من أنيسك؟ فقال: قلبي. قال: فمن جليسك؟ قال: الصبر. قال: فبأي شيء تُسيّر وقتك؟ قال: بذكر الماضين. قال له: فبأي شيء تقتات؟ قال: بذكر الموت. قال له: أي خبر أصدق عندك في الدنيا؟ قال: فما رأيت أصدق في الدنيا

من الموت. قال له: فما بال الخلق لا يتفكرون فيه؟ قال الراهب: إنما يتفكر الأحياء، وأما الموتى فقد أماتوا أنفسهم قبل الموت بحب الدنيا فهم لا يتفكرون!

***

انتباهة الاحتضار...

* يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (صيد الخاطر):

من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباهًا لا يوصف، ويقلق قلقًا لا يُحَدُّ، ويتلهف على زمانه الماضي ويود لو تُرِك يتدارك ما فاته ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف.

ولو وجدت ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى.

فالعاقل من مثّل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك.

فإن لم يتهيأ تصوير ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته.

فإنه يكف كف الهوى ويبعث على الجد.

فأما من كانت تلك الساعة نصب عينيه كان كالأسير لها.

قال معروف لرجل: صلِّ بنا الظهر، فقال: إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر، فقال: وكأنك تؤمل أن تعيش إلى العصر، نعوذ بالله من طول الأمل.

وذكر رجل رجلًا بين يديه بغيبة، فجعل معروف يقول له:

ذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

***

أجوبة سديدة...

* سأل الحجاج يومًا الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها.

فقال له: من أكرم الناس؟

قال: أفقههم في الدين، وأصدقهم لليمين، وأبذلهم للمسلمين، وأكرم للمهانين، وأطعمهم للمساكين.

قال: فمن ألأم الناس؟

قال: المعطي على الهوان، والمقتر على الإخوان، الكثير الألوان.

قال: فمن أشجع الناس؟

قال: أضربهم بالسيف، وأقراهم للضيف، وأتركهم للحيف.

قال: فمن شر الناس؟

قال: أطولهم جفوة، وأدومهم صبوة، وأشدهم قسوة.

قال: فمن أجبن الناس؟

قال: المتأخر عن الصفوف، المنقبض عن الزحوف، المرتعش عند الوقوف، المحب ظلال السقوف، الكاره لضرب السيوف.

قال: فمن أثقل الناس؟

قال: المتفنن في الملام، الضنين بالسلام، المهذار في الكلام، المقبقب على الطعام.

قال: فمن خير الناس؟

قال: أكثرهم إحسانًا، وأقومهم ميزانًا، وأدومهم غفرانًا، وأوسعهم ميدانًا.

قال: فمن العاقل والجاهل؟

قال: العاقل الذي لا يتكلم هذرًا، ولا ينظر شذرًا، ولا يضمر غدرًا، ولا

يطلب عذرًا، والجاهل هو المهذار في كلامه، المنان بطعامه، الضنين بسلامه، المتطاول على إمامه، الفاحش على غلامه.

قال: فما الحازم الكيس؟

قال: المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه.

قال: فما العاجز؟

قال: المعجب بآرائه، الملتفت إلى ورائه.

قال الحجاج: هل عندك من النساء خبر؟

قال: بشأنهم خبير! إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع، إن عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة، فمن دارهن انتفع بهن وقرت عينه، ومن شاورهن كدر عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته، فأكرمُهُنَّ أعفُّهُنَّ، وأفخر أحسابهنَّ العفَّة، فإذا زلن عنها فهنَّ أنتن من الجيفة.

***

كلمات ومعان...

* عن الحارث أن عليًا سأل الحسن – رضي الله عنهما – عن أمر المروءة فقال:

يا بني، ما السداد؟ قال: رفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة، وموافقة الإخوان، وحفظ الجيران.

قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المال.

قال: فما الدقة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير.

قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه.

قال: فما السماحة؟ قال: البذل من العسير واليسير.

قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما أنفقته تلفًا.

قال: فما الإخاء؟ قال: المواساة.

قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهد في الدنيا.

قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قل، وإنما الغنى غنى النفس.

قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء.

قال: فما المنعة؟ قال: الفزع عند المصدوقة.

قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك.

قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو عن الجرم.

قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب ما استودعته.

قال: فما حسن الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح.

***

الحقيقة...

* قال أبو الدرداء –رضي الله عنه –: (يا حبذا نوم الأكياس وفطرُهم كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم، والذرة من صاحب التقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترِّين). وهذا من جوهر الكلام وأدلة على كمال فقه الصحابة وتقدُّمهم على من بعدهم في كل خير، رضي الله عنهم.

فاعلم أن الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح. قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج: ٣٢] وقال تعالى: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾ [الحج: ٣٧] وقال

النبي ﷺ: «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره[1].

***

طرائف الحكمة...

لا خير في القول إلا مع العمل.

ولا في الفقه إلا مع الورع.

ولا في الصدقة إلا مع النيَّة.

ولا في المال إلا مع الزكاة.

ولا في الصدق إلا مع إنجاز الوعد.

لا عقل كالتدبير، ولا ورع ككف الأذى.

طرف الفتى يخبر عن لسانه.

إذا أقبلت الدنيا على امرئ ألبسته محاسن غيره.

وإن أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

رضى الناس غاية لا تدرك.

رضي بالذل من كشف ضره.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

زكاة النِّعم المعروف.

السعيد من وعظ بغيره.

إذا تخاصم اللصان ظهر المسروق.

إذا تم العقل نقص الكلام.

الجزع أتعب من الصبر.

قليل عاجل خير من كثير آجل.

---

(1) رواه الترمذي.

الحرص يُذلّ الرجال.

ركوب الأهوال خير من ذل السؤال.

طول التجارب زيادة في العقل.

***

من أقوال مأثورة...

* قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:

الهوى شريك العمى، ومن التوفيق سعة الرزق، نعم طارد الهموم اليقين، وفي الصدق النجاة، عاقبة الكذب شر عاقبة.

رب بعيد أقرب من قريب، ورب قريب أبعد من بعيد.

والغريب من لم يكن له حبيب.

من تعدى الحق ضاق مذهبه، من اقتصر على قدره كان أبقى له.

أوثق العرى التقوى.

من أعتبك وقد هوى.

وقد يكون اليأس إدراكًا إذا كان الطمع هلاكًا.

كم من مريب قد شقي به غيره ونجا هو من البلاء.

جانيك من يجني عليك.

وقد تُعدي الصحاح مبارك الجرب.

وليس كل عورة تظهر.

ربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمى رشده.

***

من صفات الكفار والمنافقين...

* العداء للحق والنور:

قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ**﴾ [الصف: ٨].

* مقاطعة الأهل والإفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٥].

* القتل بغير حق:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾ [النساء: ٩٣]، ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: ٣٢].

* أن يقول الإنسان ما لا يفعل:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٢، ٣].

* أن يبخل الإنسان ويأمر الناس بالبخل:

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٣٧].

***

اتقوا الدنيا والنساء...

* عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن الرسول ﷺ قال:

«**أما بعد!** فإن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله – تعالى – مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء، ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، منهم من يولد مؤمنًا ويحيا كافرًا ويموت كافرًا، ومنهم من يولد مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت كافرًا، ومنهم من يولد كافرًا ويحيا كافرًا ويموت مؤمنًا.

ألا! إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه! فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلك فالأرض الأرض!

ألا! إنَّ خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضاء، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضاء، إذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفيء وسريع الغضب سريع الفيء فإنها بها.

ألا! إن الخير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب، وشر التجار من كان سيء القضاء سيء الطلب، أو كان سيء القضاء حسن الطلب فإنها بها.

ألا! إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، ألا وأكبر الغدر غدر أمير عامة، ألا لا يمنعنّ رجلًا مهابة الناس أن يتكلّم بالحق إذا علمه، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى»[1].

من صفات المؤمنين...

* إطعام اليتيم الجائع، والقريب المسكين:

قال الله تعالى: ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾ [البلد: ١٤-١٦].

* الخوف من الله رب العالمين ومراقبته في جميع التصرفات:

قال الله تعالى: ﴿**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: ٢٨].

* أداء الواجب في عفة ابتغاء وجه الله – سبحانه –:

قال الله تعالى: ﴿**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٤].

* الدعوة إلى الله وعمل ما فيه المصلحة، وإسلام الأمر لله:

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣].

* كظم الغيظ، والعفو عمن أساء:

قال الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٣].

***

الخليفة والشعراء...

* وقف الشعراء بباب الخليفة عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – فلم يأذن لأحد منهم إلا لجرير، فلما مثل بين يديه قال: يا جرير اتق الله ولا تقل إلا حقًّا، فأنشده قصيدة منها:

إنـــا لنرجـــوا إذا مـــا الغيـــث أخلفنـــا
مـــن الخليفـــة مـــا نرجـــوا مـــن المطـــر

نـــال الخلافـــة أو كانـــت لـــه قـــدرًا
كمـــا أتـــى ربـــه موســـى علـــى قـــدَر

هـــذه الأرامـــل قـــد قـــضيت حاجتـــها
فمـــن لحاجـــة هـــذا الأرمـــل الـــذكر

الخير ما دمت حيًّا لا يفارقنا
بوركت يا عمـــر الخـــيرات مـــن عمـــر

فقال: يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقًّا.

قال: بلى يا أمير المؤمنين، إني ابن سبيل الله ومنقطع.

فقال له: ويحك يا جرير، قد ولينا هذا الأمر ولا نملك إلا ثلاثمائة درهم! فمائة أخذها ابني عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام، أعطه المائة الباقية.

فأخذها جرير وقال: والله لهي أحب ما اكتسبته، ثم خرج.

فقال له الشعراء: ما وراءك؟

قال: ما يسوؤكم! خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني لراضٍ عنه وأنشد:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقيًا

***

أحسن الكلام...

* عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: «إنما هما اثنتان: الكلم والهَدْي، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهَدْي هدْي محمد ﷺ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور! فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، ألا إن لكل ما آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت.

ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره، ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة.

ألا وإياكم والكذب! فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل، ولا يَعِدُ الرجل صبيَّه ولا يفي به، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[1].

***

---

(1) رواه ابن ماجه.

ما هما؟...

* الأبردان: الغداة والعشي.

* الابنان: في مصطلح القراء، هما ابن كثير وابن عامر.

* الأبيضان: اللبن والماء، أو الشحم واللبن.

* الأجوفان: البطن والفرج.

* الأصرمان: الذئب والغراب.. لأنهما انصرما عن الناس، أي انقطعا.

* الأكبران: الهمة والنفس.

* الأكذبان: الظن والسراب.

* الأنوران: الشمس والقمر.

* الثقلان: الإنس والجن، سميا بذلك لثقلهما على الأرض، ولرزانة رأيهما وقدرهما، أو لأنهما مثقلان بالتكليف، أو لأنهما مثقلان بالذنوب.

* الحبيبان: الذهب والفضة.

* الحِبَّان: أسامة بن زيد ووالده، - رضي الله عنهما -.

* الحياتان: (للإنسان) بقاؤه في الدنيا، والثناء عليه بعد موته.

* الخافقان: المشرق والمغرب، أو أفقاهما. قال ابن السكيت: لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.

* الخائنان: الجوع والعري.

* الخَتَنَان: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - لأنهما كانا متزوِّجَين ببنتي رسول الله ﷺ.

* الديكان: واحدهم ديك - وهو العظم الذي يكون خلف أذن الفرس.

* الرافدان: دجلة والفرات.

* الرجبان: رجب وشعبان.

* الرحلتان: رحلتا قريش: في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، أول من صيرهم هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ وأخذ العهد من قيصر وأشراف أحياء العرب بأن لا يتعرض لقومه في مسالكهم في الرحلتين.

* الريحانتان: هما الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وفي الحديث: «هما ريحانتاي من الدنيا».

* الزهراوان: سورة البقرة وآل عمران، أي المنيرتان، واحدتهما زهراء.

* الشاربان: ما سال على الفم من الشعر، وقيل: إنما هو الشارب والتثنية خطأ، والشاربان ما طال من ناحية السبلة، وبعضهم يسمي السبلة كلها شاربًا واحدًا، وليس بصواب..

* الشفاءان: العسل والقرآن. في الحديث: «عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»[1]

* الشيخان: هما عند الإطلاق: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي إطلاق المحدثين يراد بهما البخاري ومسلم، وعند الشافعية هما النووي والرافعي.

* الصحيحان: صحيحا البخاري ومسلم.

* الصَّفَران: شهران من السنة، سمي أحدهما في الإسلام: المحرم.

* الضاحكان: مثنى ضاحك، وهما ثنيتان في جانبي فم الإنسان تلي كلٌّ منهما أضراس جانبها الذي هي فيه.

---

(1) أخرجه ابن ماجه.

* العدوان: عدو ظلمته، وعدو ظلمك. فإن اضطررت إلى الاستعانة بأحدهما، فاستعن بمن ظلمك، فإنه أحرى أن يعينك وهو أقدر عليها.

* العذابان: السفر والبناء، لأن السفر ينهك البدن، والبناء ينهك المال.

* العِراقان: الكوفة والبصرة، وعراق العرب وعراق العجم.

* العسكران: عرفة ومنى.

* العمَّان: هما حمزة والعباس، عما النبي ﷺ - رضي الله عنهما -.

* الغريبان: كتابا الهروي في غريب القرآن وغريب الحديث.

* الفتَّانان: الدرهم والدينار، ومنكر ونكير.

* الفتنتان: هما المال والولد. قال الله تعالى: ﴿**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: ١٥].

* الفرقدان: نجمان منيران في بنات نعش، يضرب المثل بهما في طول الصحبة في التساوي والتشاكل.

* الكاتبان: هما الملكان الموكلان بالإنسان لكتابة حسناته وسيئاته، ويقال فيها الحافظان أيضًا.

* الكذابان: مسيلمة الحنفي، والأسود العنسي.

* الكريمتان: العينان.

* الكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمي. يقال: حديدة ذات كلبتين، وحديدتان ذواتا كلبتين..

* اللاعنان: الواردان في خبر «اتقوا اللاعنَين»، وهما: التغوط على قارعة الطريق، وفي ظل شجرة، سماهما لاعنين لأنهما يجلبان اللعن لفاعلهما.

* مدهامتان: في التتريل، بمعنى سوداوين من شدة الخضرة من الري، والعرب تقول لكل أخضر أسود.

* المرجفان: الطست والإبريق، لأن لهما عند حضورهما صوتًا بنقر حدهما في الآخر، فكأن ذلك الصوت يرجف، أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام.

* المشفقان: الأهل والولد.

* المضنيان: الوجد والكمد.

قال بعضهم:

قد خدَّد الدمع خدِّي من تذكُّرِكم
واعتادني المضنيان الوجد والكمد

* المُعوِّذتان: بكسر الواو، وفتح الواو فيهما غلط. سورتا الفلق والناس.

* الميتتان: في الحديث: «أحل لنا ميتتان: الحوت والجراد».

* الواقدان: العينان: يقال: غائب الواقدين، أي أعمى.

***

* ابنا سبات: هما رجلان كانا في قديم مجتمعين زمانًا طويلًا، ثم تفرقا، فصار أحدهما إلى نجد، والآخر إلى تهامة، فلم يلتقيا بعد ذلك قط، فضرب بهما المثل في عدم الاجتماع بعد الافتراق.

***

* حمارا العبادي: من أمثال العرب في الرديئين، ما أحدهما بأمثل من الآخر، كحماري العبادي، وهو الذي قيل له: أي حماريك شر؟ قال: ذا ثم ذا. يرون أنه قال: هذا هذا، أي لا أفضل أحدهما على الآخر.

* صحيفتان الأشج وابن نسطور: يذكران عند المحدثين فيما لا يلتفت إليه ولا يعتنى به، قال الحافظ السلفي:

حـــديث ابـــن نـــسطور وقـــيس ونعـــيم
وبعـــد أشـــج الغـــرب ثم خـــراش
ونـــــسخة دينـــــار ونـــــسخة ثربـــــة
أبي هدبـــة القـــيس شـــبه فـــراش

وكان الحافظ السلفي إذا فرغ من إنشاد هذين البيتين ينفخ في يده، إشارة إلى أن هذه الأشياء كالريح.

* فتكتا الإسلام: يقال لفتكة عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد بن العاص، وفتكة المنصور بأبي مسلم، ولا ثالث لهما، قاله الثعالبي.

قلت -والكلام للمؤلف-: ثالثهما فتكة الجحاف بن حكيم السلمي..

* ملكا الشعراء: وهما امرؤ القيس، وأبو فراس الحمداني. قال الصاحب بن عباد: بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس.

* نفسا الإنسان: وهما كناية عن رأييه، وقد استعملهما الحريري في مقامته بهذا المعنى، تقول: استشر نفسيك، أي رأييك. وفي المعنى:

لكـــل فـــتى نفـــسان: نفـــس كريمـــة
ونفس يعاصـــيها الهـــوي ويطيعهـــا

* أحد اللسانين: هو القلم.

* أحد اللحمين: هو اللبن.

* أحد المنصبين: هو الأدب.

* أحد اليسارين: قلة العيال.

* إحدى الموتتين: الحمية.

* إحدى الميتتين: هو الشيب.

* بنات نارين: خبزة تسرد في سمن ولبن ثم تُقلى. ويقال: هو الطبيخ يبرد ثم يحمى عليه ثانية.

* حيازة الشرفين: هما شرف الأدب وشرف النَّسب.

هو دون القلَّتين: يقال للحقير!

ذو القلبين: هو أبو معمر جميل بن معمر بن عبد الله الفهري.

كان رجلًا لبيبًا، حافظًا لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد! فلما كان يوم بدر وهزم المشركون، وفيهم أبو معمر، فلقيه أبو سفيان بن حرب وإحدى نعليه في رجله والأخرى معلقة بيده، فقال: ما حال الناس؟ فقال: هزموا. قال: فما بال إحدى نعليك بيديك والأخرى في رجلك؟ فقال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعرفوا يومئذٍ كذبه فيما كان يدعيه من القلبين..

* ذو القلمين: هو علي بن سعيد بن كنداجيق، كان يسمى ذا القلمين؛ لأنه كان يتولى ديواني الخراج والجيش للمأمون.

* ذو النارين: العجم تقوله للطعام المسخن، وغيرهم يقول له من آل فرعون يعرض على النار بكرة وعشيًّا.

* ذو الهجرتين: من هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة.

* طعام اليدين: أي ما يحتاج فيه إليهما، كالشواء ونحوه.

* جاء بقرني حمار: مثل يضرب لمن يأتي بما لا يمكن أن يكون، لأن الحمار لا قرن له!

***

السخاء...

الواجب على العاقل إذا أمكنه الله - تعالى - من حطام هذه الدنيا الفانية، وعلم زوالها عنه، وانقلابها إلى غيره، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة: أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله، والقيام بالواجب في أسبابه، مبتغيًا بذلك الثواب في العقبى، والذكر الجميل في الدنيا، إذ السخاء محبة ومحمدة كما أن البخل مذمة ومبغضة، ولا خير في المال إلا مع الجود كما لا خير في المنطق إلا مع المخبر.

ولقد أنشد المنتصر بن بلال الأنصاري:

الجود مكرمة، والبخل مبغضة
لا يستوي البخل عند الله والجود
والفقر فيه شخوص، والغنى دَعَة
والناس في المال مرزوق ومحدود

قال المنصور أمير المؤمنين لابنه المهدي: (اعلم أن رضاء الناس غاية لا تدرك، فتحبَّب إليهم بالإحسان جهدك، وتودَّد إليهم بالإفضال، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم).

وأنشد محمد بن إسحاق الواسطي:

أعاذلتي اليوم، ويحكما مهلا
وكفا الأذى عني، ولا تكثر العذلا
دعاني تجُدْ كفِّي بما ملكت يدي
سأصبح يومًا أترك الجود والبخلا
إذا وضعوا فوق الضريح جنادلا
عليَّ وخلَّفت المطية والرحلا

فــــلا أنــــا مختــــار إذا مــــا نزلتـــــه
ولا أنــــا لاق مــــا ثَويـــت بـــه أهـــلا

* قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: (من آتاه الله منكم مالًا فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفُكَّ فيه العاني والأسير وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين، وليصبر فيه على النائبة؛ فإن بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة).

* قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: أجود الجود من جاد بماله، وصان نفسه عن مال غيره، ومن جاد ساد، كما أن من بخل رذل.

* والجود حارس الأعراض، كما أن العفو زكاة العقل، ومن أتم الجود أن يتعرَّى عن المنة؛ لأن من لم يتمنَّ بمعروفه وفَّره. والامتنان يهدم الصنائع، وإذا تعرَّت الصنيعة عن إزارٍ له طرفان: أحدهما الامتنان، والآخر طلب الجزاء – كان من أعظم الجود، وهو الجود على الحقيقة.

ولقد أنشدني ابن زنجي:

يــــا رب عاذلـــة في الجـــود قلـــت لهـــا:
قلِّـــي، علـــى الله فيمـــا أنفـــق الخلفـــا
هل مـــن بخيـــل رأيـــت المـــال أخلـــده؟
أم هـــل رأيـــت جـــوادًا ميتًـــا عجفـــا؟
لمـــــا رأتـــــني أوتي المــــال طالبــــه
ولا أبــــالي تــــلادًا كــــان أم طُرُفــــا
عـــدَّت سمـــاحي تبـــذيرًا، ولـــست أرى
مـــا يُكـــسِب الحمـــد تبـــذيرًا ولا سـرفًا

***

إنه الموت...

قال أبو العتاهية:

حتى متى تصبو ورأسك أشمطُ
أحسبتَ أنَّ الموت في اسمك يغلط

لقد رأيت الموت يفرص تارة
جُثث الملوك وتارة يتحبَّط

أم لست تحسبه عليك مُسلَّطًا
وبلى وربِّ: إنه لُمسلَّط

فتآلف الخُلان مفتقدًا لهم
ستشط عمَّن تألفن وتشحط

وكأنَّني بك بينهم واهي القُوى
نضْرًا تقلَّص بينهم وتبسَّط

وكأنني بك بينهم خفق الحشا
بالموت في غمَرَاته يتشحَّط

وكأنني بك في قميص مُدرجًا
في ربطتين مُلفَّف ومُخيَّط

لا ربطتين كربطتي مُتنسِّم
رُوح الحياة ولا القميص مُخيَّط

***

أقوال مأثورة...

* عن أبي عيسى الخراساني عن سعيد بن المُسيَّب قال: (لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة).

وقال – رحمه الله –: (من استغنى بالله افتقر الناس إليه).

وقال رحمه الله تعالى: (الدنيا نذلة، وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل

منها من أخذها من غير وجهها، ووضعها في غير سبيلها).

وقال - رحمه الله تعالى -: (إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه).

وقال - رحمه الله -: (من كان فضله أكثر من نقصه، وُهِبَ نقصه لفضله).

وقال - رحمه الله تعالى -: (يد الله فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضعها رفعه الله، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته).

وقال - رحمه الله تعالى -: (لا خير فيمن لا يحب هذا المال، ويصل به رحمه، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه).

قال - رحمه الله تعالى -: (ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء).

وقال - رحمه الله تعالى -: (لا تقولنَّ: مُصَيحِف، ولا مُسيجد، ولكن عظموا ما عظم الله، كلُّ ما عظم الله فهو عظيم حسن).

عن علي بن زيد، قال: (رآني سعيد بن المسيب - وعليَّ جبة خز - فقال: إنك لجيد الجبة، قلتُ: وما تغني عني، وقد أفسدها عليَّ سالم، فقال سعيد: أصلح قلبك، والبس ما شئت).

قال بُرد مولى ابن المسيب: (ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء! قال سعيد: وما يصنعون؟ قال: يصلي أحدهم الظهر، ثم لا يزال صافًّا رجليه يصلي، حتى العصر، فقال سعيد: ويحك يا بُرد، أما والله ما هي العبادة، تدري ما العبادة؟ إنما العبادة: التفكُّر في أمر الله، والكف عن محارم الله).

قال سعيد بن عبد العزيز: (لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من

قصره، فلما فتحت، سمع قصَّارًا بالوادي، فقال: ما هذا؟ فقيل له: إنه قصَّار، فقال: يا ليتني كنت قصَّارًا، أعيش من عمل يدي، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال: الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم).

قال يحيى بن سعيد: كان سعيد بن المسيب يكثر أن يقول: (اللهمَّ سلِّم سلِّم).

***

حديث عظيم...

* عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(إن ثلاثة في بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال: فمسحه، فذهب عنه، فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأُعطي ناقة عشراء، وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأُعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملًا. وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن،

والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلَّغ عليه في سفري، فقال: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك، شاة أتبلَّغ في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله بصري، وفقيرًا فلقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله! لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)[1].

***

الناس في الخير...

الناس في الخير أربعة أقسام:

* منهم من يفعله ابتداءً.
* ومنهم من يفعله اقتداءً.
* ومنهم من يتركه حرمانًا.
* ومنهم من يتركه استحسانًا.
* فمن فعله ابتداءً فهو كريم.
* ومن فعله اقتداءً فهو حكيم.
* ومن تركه حرمانًا فهو شقي.
* ومن تركه استحسانًا فهو دنيء.

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

التفاخر بالآباء...

* قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: ما رأيت أحدًا أخسر صفقة، ولا أظهر حسرة، ولا أخيب قصدًا، ولا أقل رشدًا، ولا أحمق شعارًا، ولا أدنس دثارًا، من المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام، مع تعرِّيه عن سلوك أمثالهم، وقصد أشباههم، متوهِّمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادوا بمن تقدمهم، وهيهات! أنَّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه؟ وأنَّى ينبُل في الدارَين إلا بكدِّه؟

ولقد أنشدني البسامي:

وكم قائل إني ابن بيت، هو ابنه
وقد هدم البيت الذي مات عامرُه
فأودى عموداه، ورثَّت حباله
وأصلح أُولاه، وأفسد آخرُه

وأنشدني الأبرش:

فإن قلتَ: لي آباء صدق ومنصب
كريم وإخوان مضت وجدود
صدقت، ولكن أنت هدَّمت ما بنوا
بكفك عمدًا، والبناء جديد

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي:

إن لم تكن بفعال نفسك ساميًا
لم يُغن عنك سموّ من تسمو به
ليس القديم على الحديث براجع
إن لم تجده آخذًا بنصيبه

ولربمـــا اقتـــرب البعيـــد بـــوُدِّه
وغـــدا القريـــب مباعـــدًا لقريبـــه

أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي، حدثنا أبو داود السنجي، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحسن قال: لا دين إلا بمروءة.

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: اختلف الناس في كيفة المروءة:

فمن قائل قال: المروءة ثلاثة: إكرام الرجل إخوان أبيه، وإصلاحه ماله، وقعوده على باب داره.

ومن قائل قال: المروءة: إتيان الحق، وتعاهد الضيف.

ومن قائل قال: المروءة تقوى الله، وإصلاح الضيعة، والغداء والعشاء في الأفنية.

ومن قائل قال: المروءة: إنصاف الرجل من هو دونه، والسموّ إلى من هو فوقه، والجزاء بما أُتي إليه.

ومن قائل قال: مروءة الرجل: صدق لسانه، واحتماله عثرات جيرانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكفُّه الأذى من أباعده وجيرانه.

ومن قائل قال: إن المروءة التباعد من الخُلُق الدنِيّ فقط.

ومن قائل قال: المروءة: أن يعتزل الرجل الرِّيبة؛ فإنه إذا كان مريبًا كان ذليلًا، وأن يصلح ماله؛ فإن من أفسد ماله، لم يكن له مروءة، والإبقاء على نفسه في مطعمه ومشربه.

ومن قائل قال: المروءة: حسن العشرة، وحفظ الفرج واللسان، وترك المرء ما يُعاب منه.

ومن قائل قال: المروءة: سخاوة النفس، وحسن الخلق.

ومن قائل قال: المروءة العِفَّة والحرفة، أي يعف عما حرم الله، ويحترف

فيما أحل الله.

ومن قائل قال: المروءة: كثرة المال والولد.

ومن قائل قال: المروءة: إذا أعطيت شكرت، وإذا ابتليت صبرت، وإذا قدرت غفرت، وإذا وعدت أنجزت.

ومن قائل قال: المروءة: حسن الحيلة في المطالبة، ورقة الظُّرف في المكاتبة.

ومن قائل قال: المروءة: اللطافة في الأمور، وجودة الفطنة.

ومن قائل قال: المروءة: مجانبة الرِّيبة، فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح المال، فإنه لا ينبل فقير، وقيامه بحوائج أهل بيته؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره.

ومن قائل قال: المروءة: النظافة وطيب الرائحة.

ومن قائل قال: المروءة الفصاحة والسماحة.

ومن قائل قال: المروءة: طلب السلام، استعطاف الناس.

ومن قائل قال: المروءة: مراعاة العهود، والوفاء بالعقود.

ومن قائل قال: المروءة التذلل للأحباب بالتملق، ومداراة الأعداء بالترفق.

ومن قائل قال: المروءة: ملاحة الحركة، ورقة الطبع.

ومن قائل قال: المروءة: هي المفاكهة والمباسمة.

حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس قال: قال ربيعة: المروءة مروءتان: فللسفر مروءة، وللحضر مروءة.

فأما مروءة السفر فبذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة

المزاح في غير مساخط الله.

وأما مروءة الحضر: فالإدمان إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وقراءة القرآن.

قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض.

والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال.

وهاتان الخصلتان تأتيان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم، واستعمالهما هو العقل نفسه، كما قال المصطفى ﷺ: «إن مروءة المرء عقله».

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح.

***

فضل الغنى...

حدثني عيسى بن يونس، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر قال: نعم العون على تقوى الله الغنى.

وأنشدني علي بن محمد البسامي:

أرى كلَّ ذي مال يسود بماله
وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصل

وآخر منسوبًا إلى الرأي خاملًا
وأنوك مجهولًا، له الجاه والنبل

فلا ذا بفضل الرأي أدرك بلغة
ولم أر هذا ضره النوك والجهل

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ليحيى بن أكثَم:

إذا قـــلَّ مـــال المـــرء قـــلَّ بهـــاؤه
وضـــاقت عليـــه أرضُـــه وسمـــاؤه

وأصـــبح لا يـــدري، وإن كـــان حازمًـــا
أقُدَّامـــــه خـــــير لـــــه أم وراؤه

ولم يمـــض في وجـــه مـــن الأرض واســـع
من النـــاس إلا ضـــاق عنـــه فـــضاؤه

وأصـــــبح مـــــردوادًا عليـــــه مقالـــــه
وكـــان بـــه قـــد يقتـــدى خطبـــاؤه

وإن يبـــق لم يـــضْرُر عـــدوًا بقـــاؤه
وإن يفـــن لم يفقـــد لخـــير فنـــاؤه

حدثني محمد بن المهاجر، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري، عن سليمان بن أبي شيخ، حدثني الزبيري، قال: مرَّ عمر بن الخطاب بمحمد بن مسلمة وهو يغرِس ودِيًّا.

فقال: ما تصنع يا ابن مسلمة؟ قال: ما ترى، أستغني عن الناس، كما قال صاحبكم أحيحة بن الجُلاح:

استغن، أو مُت، فلا يغـــررك ذو نـــسب
مـــن ابـــن عـــم، ولا عـــم، ولا خـــال

إني أظـــل علـــى الـــزوراء أعمرهـــا
إن الحبيـــب إلى الإخـــوان ذو المـــال

عن عبدان قال: دخلت على عبد الله بن المبارك، وهو يبكي، فقلت له: ما لك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: بضاعة لي ذهبت، قال: قلت: أو تبكي على المال؟ قال: إنما هو قِوام ديني.

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: إن من أسعد الناس من كان في غناه عفيفًا، وفي مسكنته قنعًا؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بدًّا من ترك الحياء.

والفقر يذهب العقل والمروءة، ويذهب العلم والأدب، وكاد الفقر أن يكون كفرًا، ومن عُرف بالفقر صار معدنًا للتهمة، ومجمعًا للبلايا، اللهم إلا أن يرزق المرء قلبًا نقيًّا قنعًا، يرى الثواب المدخر من الضجر الشديد، فحينئذ لا يبالي بالعالم بأسرهم والدنيا وما فيها، والفقر داعية إلى المهانة، كما أن الغنى داعية إلى المهابة، ولقد أحسن الذي يقول:

يغطـــي عيـــوب المـــرة كثـــرة مالـــه
وصُـــدِّق فيمـــا قـــال وهـــو كـــذوب
ويُـــزري بعقـــل المـــرء قلـــة مالـــه
يُحمِّقُـــــه الأقـــــوام وهـــــو لبيـــــب

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي، حدثنا النمر بن قادم، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب قال: قال لي أبو قلابة: يا أيوب، الزم سوقك؛ فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تحتج إليهم.

وأنشدني العقبي، أنشدني محمد بن خلف التيمي بالكوفة:

كـــأن مُقلًـــا حـــين يعـــدو لحاجـــة إلى
كـــل مـــن يلقـــى مـــن النـــاس مـــذنب
وكـــان بنـــو عمـــي يقولـــون: مرحبـــا
فلمـــا رأوني مُعـــدما مـــات مرحـــب

وأنشدني الكريزي:

لعمـــرك، إن المـــال قـــد يجعـــل الفـــتى
نـــسيبًا، وإن الفقـــر بـــالمرء قـــد يُـــزري
ولا رفـــع الـــنفس الدنيئـــة كـــالغنى
ولا وضـــع الـــنفس الكريمـــة كـــالفقر

قال أبو قلابة: الزم السوق، فإن الغنى من العاقبة.

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: ليس خلة هي للغني مدح إلا وهي للفقير عيب؛ فإن كان الفقير حليمًا قيل: بليد، وإن كان عاقلًا قيل: مكار، وإن كان بليغًا قيل: مهذار، وإن كان ذكيًّا قيل: حديد، وإن كان صموتًا قيل: عيِي، وإن كان متأنِّيًا قيل: جبان، وإن كان عارمًا قيل: جريء، وإن كان جوادًا قيل مسرف، وإن كان مقدرًا قيل: ممسك.

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحل وأنفق فيما لا يجمل، ووجوده وعدمه ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم ولقد أنشدني الأبرش:

يشقى رجال، ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقوامًا بأقوام
وليس رزق الفتى من حسن حيلته لكن جدود بأرزاق وأقسام

كالصَّيد يُحرمه الرامي المجيد، وقد يرمي فيرزقه من ليس بالرامي

قال أبو قيس بن معد يكرب، وكان له أحد عشر ذكرًا: يا بَني، اطلبوا هذا المال أجمل الطلب، واصرفوه في أحسن مذهب، صلوا به الأرحام، واصطنعوا به الأقوام، واجعلوه جنة لأعراضكم تحسن في الناس قالتكم، فإنّ جمعه كمال الأدب، وبذله كمال المروءة، حتى إنه ليسوِّد غير السيد، ويُقوِّي غير الأيِّد، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيهًا، وفي أعينهم مهيبًا. ومن جمع مالًا فلم يصن عرضًا، ولم يعط سائلًا، بحث الناس عن أصله؛ فإن كان مدخولًا هتكوه، وإن كان صحيحًا، نسبوه إما إلى عرض دنية، وإما إلى لوص لئيم حتى يُهجِّنوه.

***

وصية والد...!

* لما حضر ابن سعيد بن العاص الوفاة قال لبنيه: (يا بَنِيَّ، أَيُّكم يقبل وصيتي؟ فقال ابنه الأكبر: أنا، قال: إن فيها قضاء ديني، قال: وما دينك يا أبت قال: ثمانون ألف دينار، قال: يا أبت، فيم أخذتها؟ قال: يا بني في كريم سددته خلته، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها)

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاه أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية، فيبقى عن الخيرات كلها، ويتأسف على ما فاته من المعروف.

والعاقل يعلم أن من صحب النعمة في دار الزوال لم يخل من فقدها، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سؤال.

***

أدب السؤال والطلب...

دخل أبو العتاهية على الرشيد، فقال: سل أبا العتاهية، فقال:

كان المنال ببذل وجهه
فلا قرَّبت من ذاك المنال

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان:

يبقى الثناء وتنفد الأموال
ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمدة الرجال وشكرهم
إلا الصبور عليهم المفضال

جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله، فقال له: هب لي شيئًا، قال: يا غلام أعطه ما معك، فأعطاه عشرين ألفًا، فأخذها ليحملها فثقلت عليه، فقعد يبكي، فقال: ما يبكيك؟ لعلك استقللتها فأزيدك، قال: لا، والله ما استقللتها، لكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك، فقال له يحيى: هذا الذي قلت لنا أكثر مما أعطيناك.

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: لا يجب الإلحاف عند السؤال في الحوائج؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سببًا للحرمان والمنع، والطالب للفلاح كالضراب بالقداح: سهم له، وسهم عليه، فإن أُعطي وجب عليه الحمد، وإن منع لزمه الرضا بالقضاء، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم، لا في المحافل والمساجد والملأ؛ لأن محمد بن محمود النسائي حدثنا، قال: حدثنا علي بن خشرم، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي، عن حنيف المؤذن قال: قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتفحشوهم، ولكن سلوهم في منازلهم، فمن أعطى أعطى، ومن منع منع).

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: الذي قاله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إذا كان المسؤول كريمًا، فإنه إن سئل الحاجة في نادي قومه ولم يكن عنده قضاؤها تشور وخجل، وأما إذا كان المسؤول لئيمًا ودفع المرء إلى مسألته في الحاجة تقع له فإنه إن سأله في مجلسه ومسجده كان ذلك أقضى لحاجته؛ لأن اللئيم لا يقضي الحاجة ديانة ولا مروءة، وإنما يقضيها إذا قضاها طلبًا للذكر والمحمدة في الناس.

على أني أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القِدِّ ومص الحصى ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لئيمًا حاجة، لأن إعطاء اللئيم

شين، ومنعه حتف.

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا أعطـــى القليـــل فـــتى شــــريف
فـــإن قليـــل مـــا يعطيـــك زيـــن
وإن تكـــــن العطيــــة مــــن دني
فـــإن كـــثير مـــا يعطيـــك شـــين

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: خرجت حاجًّا فملَلتُ المحمل، فنزلت أساير القطرات، فقال: أتانا أعرابي، فقال لي: يا فتى لمن الجمال بما عليها؟ قلت: لرجل من باهلة، قال: يا لله أن يعطي الله باهليًّا كل ما أرى، قال: فأعجبني ازدراؤه، ومعي صرة فيها مائة دينار، فرميت بها إليه، فقال: يجزاك الله خيرًا! وافقت مني حاجة، فقلت: يا أعرابي، أيسرك أن تكون الجمال بما عليها لك وأنت من باهلة؟ قال: لا، قلتُ: أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي؟ قال: بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة، فقلت: يا أعرابي، الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة، قال: فرمى بالصرة إليّ، فقلتُ: سبحان الله! ذكرت أنها وافقت منك حاجة، قال: ما يسرني أن ألقى الله ولباهلي عندي يد، فحدثت بها المأمون، فجعل يتعجَّب ويقول: ويحك يا سعيد! ما كان أصبرك عليه.

قال هاشم بن القاسم: سألت سالم بن قتيبة حاجة، فقضاها، ثم سألته أخرى، فانتهرني وقال: حاجتين في حاجة، أو قال: على الريق؟ ثم دعا بالطعام، فلما تغدَّى قال: هات حاجتك، أما سمعت قول الصبيان:

إذا تغـــدَّيت وطـــابت نفـــسي
فـــليس في الحـــق غلام مـــثلي
إلا غـــلام قـــد تغـــدَّى قـــبلي

قال أبو عمر المنذري: أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة، وكان له صديق من أهل الشام فكلمته أن يكلمه في حاجتي، فجعل يقول: اليوم، غدًا، فطال عليَّ، فترائيت له، وقد كان يعرفني، فدعاني فقال: أبا عمرو، وإنك لهنا؟ قلت: نعم، أطلبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتي فيها فلان، فضحك وقال: قد كنت أراك قد أحكمت الآداب، لا تستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له عنده طُعمة: فإنه لا يؤثرك على طعمته، ولا تستعن بكذاب: فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، ولا تستعن بأحمق، فإن الأحمق يجهد لك نفسه، ولا يكون عنده شيء، ولا يبلغ لك ما تريد، فانصرفت، فقلت: يكفيني هذا، قال: لا، ولكن تقضي لك حاجتك، فقضاها.

قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته بالعدو، ولا بالأحمق، ولا بالفاسق، ولا بالكذَّاب، ولا بمن له عند المسئول طعمة، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حاجة، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاض، ولا يظهر الحرص في اقتضاء حاجته، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء.

***

إنما الكرم قِري الضيف...

* حدثنا الأنصاري، حدثنا الغلابي، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب، حدثنا الأصمعي، أخبرني نافع بن أبي نعيم قال: قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية (قدمت المدينة، فإذا منادٍ ينادي: من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُليم، وهو جد سعد بن عبادة بن دليم سيد الخزرج، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمت المدينة، فإذا منادٍ ينادي: من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادة، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها، فإذا منادٍ ينادي: من أراد الشحم

واللحم فليأت دار سعد.

قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: كل من ساد في الجاهلية وبالإسلام حتى عرف بالسؤدد، انقاد له قومه، ورحل إليه القريب والقاصي، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف.

والعرب لم تكن تعد الجود إلا قرى الضيف، وإطعام الطعام، ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين.

وقد حدثني محمد بن المنذر، حدثنا علي بن الحسن الفلسطيني، حدثنا أبو بكر السني، حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان، وفي كل قرطة جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يمجد ربه بأبيات من شعر، فسمعته يقول:

مليكٌ في السماء به افتخاري

عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت إليه، فسلمت عليه، فقال: ما أنا برادٍّ عليك سلامك حتى تؤدِّي من حقي الذي يجب لي عليك، قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل، لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك، قال: فرحب بي وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر، فلما قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه، فأجابته جارية من الخيمة يا لبَّيْكَاه قال: قومي إلى ضيفنا هذا، قال: فقالت الجارية: اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف، قال: فقامت وصلت ركعتين شكرًا لله، قال:

فأدخلني الخيمة، فأجلسني، فأخذ الغلام الشفرة، وأخذ عناقًا له ليذبحها، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهًا، فكنت أسارقها النظر، ففطنت لبعض لحظاتي، فقالت لي: مَه، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب – تعني النبي ﷺ أن: «زنا العينين النظر» أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك، ولكني أردت أن أؤذيك لكيلا تعود لمثل هذا، فلما كان وقت النوم بتّ أنا والغلام خارج الخيمة، وباتت الجارية في الخيمة، قال: فكنت أسمع دويَّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه، فلما أن أصبحت قلت للغلام: صوت من كان ذلك؟ قال: فقال: تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح، قال: فقلت: يا غلام، أنت أحق بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهي امرأة، قال: فتبسم، ثم قال: ويحك يا فتى! أما علمت أنه موفق ومخذول.

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

إذا ما أتاك الضيف فابدأ بحقه ... قبل العيال، فإن ذلك أصوب

وعظِّم حقوق الضيف واعلم بأنه ... عليك بما توليه مُثنٍ وذاهب

أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي، عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال: صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده.

***

من فضائل الرسول ﷺ...

قال ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[١].

وقال ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن نبيًّا من الأنبياء ما صدقه من أمته إلا رجل واحد»[٢].

وقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[٣].

وقال أنس بن مالك في حديث الإسراء وفيه: «والنبي ﷺ نائمة عيناه، ولا ينام قلبه»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلَّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه»[٧].

---

(1) رواه مسلم.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه البخاري.
(5) رواه مسلم.
(6) رواه البخاري.
(7) رواه البخاري.

قال رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة، من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[1].

***

التوبة الكاذبة...

تتوب من الـــذنوب إذا مرضـــتا ... وترجـــع للـــذنوب إذا بريتـــا

إذا ما الضُّرُّ مسَّك أنـــت بـــاكِ ... وأخبـــث مـــا يكـــون إذا قويتـــا

فكم مـــن كربـــة نجَّـــاك منـــها ... وكم كـــشف الـــبلاء إذا بُليتـــا

وكم أعطـــاك في ذنـــب وعنـــه ... مدى الأيـــام جهـــرًا قـــد نُهينـــا

أما تخـــشى بـــأن تـــأتي المنايـــا ... وأنت على الخطايـــا قـــد دُهيتـــا

وتنسى فضل ربٍّ جـــاد فـــضلًا ... عليك ولا ارعويت ولا خـــشيتا[2]

***

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) من ديوان أبي العتاهية.

نهاية الأجل...

الموت بين الخلق مُشتَرك لا سُوقةٌ يُبقي ولا مَلك
ما ضرَّ أصحاب القليل وما أغنى عن الأملاك ما ملكوا
عجبًا تشاغل أهل ذي الدنيا وما فيها لهم دَرَك
طلبوا فما نالوا الذي طلبوا منها وفاتهم الذي دركوا
لم يختلف في الموت مسلكهم لا بل سبيلًا واحدًا سلكوا(٣)

* عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج.

وما من شيء أحب إلى الله من أن يُسْأَل.

وما يدفع القضاء إلا الدعاء.

وإن أسرع الخير ثوابًا البرّ.

***

المكارم...!

أُحبّ مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلمًا وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

***

(3) المرجع السابق.

البر...!

وروي عن أبي نعيم وغيره أنه قال: كان رجل له أربعة بنين، فمرض فقال أحدهم: إما أن تُمرِّضوه. وليس لكم من ميراثه شيء وإما أن أُمرِّضه وليس لي من ميراثه شيء! فقالوا له: مرِّضه وليس لك في ميراثه شيء فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا فأُتي في النوم، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار، فقال في نومه: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فأصبح فذكر ذلك لامرأته؛ فقالت: خذها فإن من بركتها تكسوني بها، وتعيش. فأبى! فلما أمسى أُتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير، فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته؛ فقالت له مثل مقالتها الأولى، فأبى أن يأخذها، فأُتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارًا، فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم! فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما؟ فقال: بدينار؛ فأخذهما منه بالدينار، ثم انطلق إلى منزله فشق بطنهما، فوجد فيهما درتين لم ير الناس مثلهما، قال فبعث الملك يطلب درة؛ ليشتريها فلم توجد إلا عنده، فباعها بوقر[1] بغلًا ثلاثين ذهبًا، فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت؛ اطلبوا أختها، وإن أضعفتم ثمنها! فجاءوا إليه قالوا له: عندك أختها ونحن نعطيك ضعف ما أعطيناك؟! قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. فأعطاهم إياها بضعف ما أخذ به الأولى!

***

---

(1) بوقر: بحمل.

وفاة طاوس...

* توفي (طاوس) وهو ابن بضع وستين سنة حاجًّا بمكة قبل يوم التروية بيوم، وصلى عليه (هشام بن عبد الملك) وهو أمير المؤمنين، وذلك في سنة ست ومائة، وحج أربعين حجة، وكان مجاب الدعوة – رحمه الله –.

***

الحامدون المُكبِّرون...

* قال كعب الأحبار: إنا لنجد نعت النبي ﷺ في سطر من كتاب الله، نجده في سطر محمد رسول الله ﷺ وأمته الحمَّادون، ويحمدون الله على كل حال، ويكبرونه على كل حال، يصلون الصلوات الخمس لوقتهن، يأتزرون على أوساطهم، ويوضِّئون أطرافهم، لهم في جو السماء دوي كدوي النحل، ونجده في سطر آخر محمد لا فظٌّ ولا غليظٌ ولا صخابٌ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة ومهاجره بطيبة وجنده بالشام.

***

الحسنة والسيئة...

* قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في (إعلام الموقعين):

إن استقلال المعصية ذنب، كما أن استكثار الطاعة ذنب.

والعارف من صغرت حسناته في عينه، وعظمت ذنوبه عنده، وكلما صغرت الحسنات في عينك كبرت عند الله، وكلما كبرت وعظمت في عينك قلَّت وصغرت عند الله، وسيئاتك بالعكس.

ومن عرف الله حقه وما ينبغي لعظمته من العبودية تلاشت حسناته عنده، وصغرت جدًّا في عينه، وعلم أنها ليست ما ينجو بها من عذابه، وأن الذي

لا يليق بعزته ويصلح له من العبودية أمر آخر.

***

دار العمل...

* يقول الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في كتابه (ي الخاطر):

رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا.

إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر.

وإن طال النهار فبالنوم.

فشبَّههم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر.

ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، هم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل.

إلا أنهم يتفاوتون وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة.

فالمتيقظون منهم يتطلعون إلى الإخبار بالنافق هناك، فيستكثرون منه فيزيد ربحهم.

والغافلون منهم يحملون ما اتفق، وربما خرجوا لا مع خفير.

فكم ممن قد قُطعت عليه الطريق فبقي مفلسًا.

فالله الله في مواسم العمر.

والبدار البدار قبل الفوات.

واستشهدوا العلم، واستدلوا الحكمة، ونافسوا الزمان، وناقشوا النفوس، واستظهروا بالزاد.

فكأن قد حدا الحادي فلم يفهم صوته من وقع مع الندم.

***

حاتم الطائي والأعرابي...

* روي أن حاتمًا استضاف أعرابيًّا، فلم يترله، فبات جائعًا مقرورًا، فلما كان في السحر ركب راحلته وانصرف، فتقدمه حاتم متنكرًا.

فقال له: من كان أبا مثواك البارحة؟

قال: حاتم. قال: فكيف كان مبيتك عنده؟

قال: خير مبيت، نحر لي ناقة، فأطعمني لحمًا عبيطًا، وأسقاني لبنًا وأعلف راحلتي، وسرت من عنده بخير حال.

فقال: أنا حاتم، وإنك لا تبرح حتى ترى ما وصفت. فرده فقال له: ما حملك على الكذب؟

قال له الأعرابي: إن الناس كلهم يثنون عليك بالجود، ولو ذكرت شرًّا كنت أكذب، فرجعت مضطرًا إلى قولهم إبقاء على نفسي لا عليك.

***

كرم الصحبة...

* قال يحيى بن أكثم: ماشيت المأمون يومًا من الأيام في بستان مؤنسة بنت المهدي، فكنت من الجانب الذي يتسره من الشمس.

فلما انتهى إلى آخره، وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتني.

***

الشاهد والكفيل...

* روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ أنه ذكر: «أن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار.

فقال: ائتني بشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيدًا!

قال: ائتني بكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا.

قال: صدقت! فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زج موضعها، ثم أتى بها البحر ثم قال: اللهم إنك قد علمت أني استسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلًا فقلت: كفى بالله كفيلًا فرضي بذلك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا فرضي بذلك، وإني قد جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبًا، وإني استودعتها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبًا إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا يجيئه بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا فلما كسرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار.

وقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟

قال: ألم أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل هذا الذي جئت فيه.

قال: فإن الله أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بألفك راشدًا».

قال ابن كثير: هكذا رواه الإمام أحمد مسندًا، وقد علَّقه البخاري في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد، وأسنده في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه.

***

شجاعة وجهاد...

* كان عبد الله بن المبارك يقاتل ويُحرِّض المؤمنين على القتال، ويجاهد ويكون في أول الصفوف، ويجالد بقوة ويتقدم حيث يتأخر الأبطال، وهذا ما حدَّث به أحد الموافقين لابن المبارك في إحدى المعارك مع الروم.

حدث عبدة المروزي: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل فقتله الرومي، ثم آخر فقتله، فتأخر عنه المسلمون فصال وجال بين الصفين ودعا إلى المبارزة.

فخرج إليه رجل فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يُلثِّم وجهه بكُمِّه حتى لا يعرفه الناس، فأخذت بطرف كمه فمددته وأزحته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن المبارك.

فقال: وأنت يا أبا عمر وممّن يُشنّع علينا.

***

السحر والكفر...

* وفي مستدرك الحاكم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قدمت امرأة من أهل (دومة الجندل) عليَّ جاءت تبغي رسول الله ﷺ بعد موته بيسير تسأله عن شيء دخلت في أمر من السحر ولم تعمل به قالت: فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ حتى إني لأرحمها من كثرة بكائها وهي تقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، فسألتها عن قصتها؛ فقالت: كان لي زوج قد غاب عني، فدخلت عليَّ عجوز، فشكوت لها ذلك؛ فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك، فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبتُ واحدًا وركِبتْ واحدًا، فلم يكن شيء حتى وقفنا ببابل، وإذا أنا برجلين

معلقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ قلت: أتعلم السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي، فأبيت، وقلت: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه، فذهبت، ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا لي: أفعلت؟ قلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئًا؟ فقلت: لم أر شيئًا. فقالا: لم تفعلي. ارجعي إلى بلادك، ولا تكفري، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه، فرأيت فارسًا مقنعًا بحديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فأتيتهما فأخبرتهما فقالا: صدقت ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئًا وما قالا لي شيئًا، فقالت لي: بلى لن تريدي شيئًا إلا كان. خذي هذا القمح فابذري فبذرت، وقلت: اطلع، فطلع، ثم قلت: استحصد، فاستحصد، ثم قلت: اطحني فطحن، ثم قلت: اخبزي فخبز. فلما رأيت أني لم أقل شيئًا إلا كان، فسقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئًا قط ولا أفعله أبدًا. فسألت أصحاب رسول الله ﷺ فما دروا ما يقولون لها وكلّهم هاب أن يُفتيها بما لا يعلم، إلا أنهم قالوا لها: لو كان أبواك حيَّين لكانا يكفيانك ثم قال: حديث صحيح[1].

***

فائدة أدبية...

* دخل يومًا أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى فعثر برجل، فقال الرجل: من هذا الكلب، فقال أبو العلاء: الكلبُ من لا يعرف للكلب سبعين اسمًا، فقرَّبه المرتضى، واختبره فوجده علامة.

ثم جرى ذكر المتنبي يومًا فانتقصه الشريف وذكر معايبه، فقال المعري:

---

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره للآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة.

لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لـــك يـــا منـــازل في القلـــوب

لكفاه فضلًا وشرفًا، فغضب المرتضى وأمر بسحبه بـــرجله، وإخراجه من مجلسه ثم قال لمن حضر مجلسه: أتدرون أيَّ شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي أجود منها و لم يذكرها وإنما أراد:

وإذا أتتـــك مـــذمَّتي مـــن نـــاقص

فهـــي الـــشهادة لي بـــأني كامـــل

***

فما أنجب الفحل...!

* قالتا له يومًا: عجبًا منك! كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خلال؟ أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور؟! قال:

أما جذام فإني في أرومتها، وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه.

وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة أحوطها فلو كانت لي نفس أخرى جدت بها.

وأما الغيرة: فأمر لا أريد أن أشارك فيه، وحقيق بالغيرة من كانت عنده امرأة حمقاء مثلك، مخافة أن تجيئه بولد من غيره فتقذفه في حجره فأنشدت تقول:

وهـــل هنـــد إلا مهـــرة عربيـــة

ســـليلة أفـــراس تحللـــها بغـــل

فـــإن أنجبـــت مهـــرًا عريقًـــا فبـــالحرى

وإن يك إقـــراف فمـــا أنجـــب الفحـــل

وقال الهيثم بن عدي: عزا الغساني الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي فلم يصبه في مترله، فأخذ ما وجد له واستاق امرأته، فلما أصابها أعجبت به وقالت له: انْجُ، فوالله لكأني أنظر إليه يتبعك فاغرًا فاه كأنه بعير آكل

مرار، وبلغ الحارث فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته، فقال: هل كان أصابك؟ قالت: نعم؛ فوالله ما اشتملت النساء على أطيب منه قط! فأمر بها فأوقفت بين فرسين ثم استحضرهما حتى قطعاها ثم أنشأ يقول:

كـــل أنثـــى وإن بـــدا لـــك منـــها
آيـــة الـــود حبُّهـــا خَيْثَعـــور
إن مـــن غـــره النـــساء بـــودّ
بعـــد هنـــد لجاهـــل مغـــرور

***

المرأة...

قالت الحكماء: لا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثر، وقالوا: النساء حبائل الشيطان وقال الشاعر:

تمتـــع بهـــا مـــا ســـاعَفَتْك ولا تكـــن
جزوعًـــا إذا بانـــت فـــسوف تـــبين
وإن حلفـــت لا يـــنقض النَّـــأي عهـــدها
فلـــيس لمخـــضوب البنـــان يمـــين
وإن أسْـــبَلَت يـــوم الفـــراق دموعهـــا
فلـــيس – لعمـــرو الله – ذاك يقـــين

وقالت الحكماء: لا تُنهى امرأة عن شيء إلا فعلته.

وقال في ذلك طفيل الغنوي:

إن النـــساء مـــتى يُنـــهَيْن عـــن خُلُـــق
فإنـــه واقـــع لابـــد مفعـــول

وعن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: كان النساء يجلسن لخُطّابهن،

فكانت امرأة من بني سلول تخطب، وكان عبد الله بن عاصم السلولي يخطبها وكان إذا دخل عليها تقول له: فداك أبي وأمي، وتُقبِل عليه تُحدثه.

وكان شاب من بني سلول يخطبها فإذا دخل عليها الشاب، وأقبل عبد الله قالت للشاب: قم إلى النار، وأقبلت تحدثه بحديثها ثم إن الفتى تزوجها فلما بلغ عبد الله أنشأ يقول:

أودى بحب سُلَيمى فاتــكٌ لقِــن كحية بــرزت مــن بــين أحجــار

إذا رأتـــني تُفـــدّيني وتجعلـــه في النار يا ليتني المجعــول في النـــار

وله فيها:

ماذا تظن سُــليمى إن ألَمَّ بهــا مرجّل الــرأس ذو بُــردين مَــزَّاح

حلــو فكاهتــه خــزٌّ عممتــه في كفِّه من رقى الــشيطان مفتــاح

***

ورثة الأنبياء...!!

* لما استولى الصالح على دمشق، اصطلح مع الإفرنج الصليبيين على أن يسعفوه ضد أخيه ملك مصر، ويعطيهم لقاء ذلك صيداء وقلعة الشقيف وغيرهما من حصون المسلمين. ودخل الإفرنج دمشق لشراء السلاح، فاستفظع الشيخ عز الدين بن عبد السلام قاضي القضاة، صنيع سلطان دمشق، وأفتى الناس بتحريم بيع السلاح للإفرنج، وترك الدعاء للسلطان في خطبة الجمعة، وندد بخيانة السلطان للمسلمين. وكان مما دعا به في خطابه: «اللهم أبرِم لهذه الأمة أمرًا رشدًا، تعزّ فيه وليّك، وتذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك».

فاعتقل الشيخ، وعزل عن مناصبه.. وصمم على الهجرة إلى مصر، ومضى في طريقه، فأدركه رسول السلطان يقول له: إن السلطان عفا عنك، وسيردك إلى مناصبك، على أن تنكسر له، وتقبل يده! فقال الشيخ: ولكن يا مسكين أنا ما أرضى أن يقبل السلطان يدي فضلًا عن أن أقبل يده! يا قوم أنتم في واد وأنا في واد!

***

إباء وشموخ...

* كان قتادة بن إدريس الحسني لا يخاف من أحد من الملوك والخلفاء ولم يفد إلى أحد منهم قط ولا ذل لخليفة ولا ملك، وكان يمتنع عن الحضور إلى مجالسهم، كتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه:

ولي كفُ ضرغام أذلُّ ببطشها ... وأشري بها بين الورى وأبيع
تظلُّ ملوك الأرض تلثُم ظهرها ... وفي بطنها للمُجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغي ... خلاصًا لها إنِّي إذًا لرقيع
وما أنا إلا المسكُ في كل بقعة ... يضوع وأما عندكم فيضيع!!

***

الكتاب أفضل هدية...!!

*قال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئًا أشرف من (كتاب سيبويه) فقلت له أردت

أن أهدي لك شيئًا ففكرت فإذا كل شيء عندك فلم أر أشرف من هذا الكتاب، فقال: والله ما أهديت إليَّ شيئًا أحبَّ إليَّ منه.

وكان يقال بالبصرة قرأ فلان (الكتاب) فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرئ نصف الكتاب، فلا يشك أنه كتاب سيبويه. وكان أبو العباس المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: ركبت البحر، تعظيمًا لكتاب سيبويه واستصعابًا لما فيه!

***

الجنُّ.. يدرُسون النحو...!

* قال أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد قال ابن كسان: سهرت ليلة أدرس، ثم نمت فرأيت جماعة من الجن يتذاكرون الفقه والحديث والحساب والنحو والشعر قال فقلت لهم: أفيكم علماء؟ قالوا: نعم، قال فقلت من همِّي في النحو: إلى من تميلون من النحويين؟ قالوا: إلى سيبويه. قال أبو عمر: فحدثت بها أبو موسى وكان يغبطه لحسد كان بينهما، فقال لي أبو موسى: إنما مالوا إليه لأن سيبويه من الجن!

***

اللهم اجعل لي مخرجًا...!

* أُتي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- برجل وجد في خربة بيده سكين متلطخ بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه! فسأله، فقال: أنا قتلته. قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما ذهبوا به أقبل رجل مسرعًا. فقال: يا قوم لا تعجلوه. ردُّوه إلى علي. فردوه. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، ما هذا صاحبه. أنا قتلته. فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله، ولم تقتله. قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع؟ وقد وقف

العَسَسُ على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف، وفي يدي سكين، وفيها أثر الدم. وقد أُخذت في خربة، فخفت أن لا يقبل مني، وأن يكون قُسامة. فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله!! فقال علي: بئسما صنعت. فكيف كان حديثك؟

قال: إني رجل قصَّاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت بقرة وسلختها. فبينما أنا أصلحها والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها، فقضيت حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا بهذا المقتول يتشحط في دمه، فراعني أمره. فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي. فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ، فأخذوني! فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي! فاعترفت بما لم أجنه! فقال علي للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟

فقال: أغواني إبليس. فقتلت هذا الرجل طمعًا في ماله، ثم سمعت حِس العَسس، فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف، فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العَسس، فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضًا، فاعترفت بالحق. فقال للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسًا. وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: ٣٢] فخلَّى عليٌّ عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال بعد إرضاء أولياء الدم وعفوهم...!

***

والجواد قد يعثر..!

* قال الكسائي: صليت بالرشيد فأعجبته قراءتي، فغلطت في كلمة، ما غلط فيها صبي قط أردت أن أقرأ: ﴿لَعَلَّهُمْ يُرْجِعُونَ﴾ فقرأت «لعلهم يرجعين»، قال: فوالله ما اجترأ الرشيد أن يردّ عليّ، ولكنه لما سلمت قال لي: يا كسائي أي لغة هذه؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد فقال: أما هذا فنعم!

***

الولاة.. وعمر بن الخطاب...!

* كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا استعمل رجلًا كتب عليه كتابًا أشهد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار، بأنه لا يظلم أحدًا في جسده ولا في ماله، ولا يستغل منصبه لفائدة أو مصلحة له أو لمن يلوذ به، فكان ذلك بمثابة القسم الذي أوجبه القانون على القضاة والأطباء وأمثالهم من قبل مباشرتهم العمل.

وكان يقول للعامل بعد ذلك محددًا سلطته، مبينًا له حقيقة عمله:

إني لم أستعملك على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم، وتحكم فيهم بالعدل.

ثم يشترط عليه أربعًا:

ألا يركب برذونًا، ولا يلبس ثوبًا رقيقًا، ولا يأكل نقيًا، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس. فكان لا يكتفي بالحد من سلطان العامل لئلا يطغى ويظلم، حتى يمنعه مما هو حق لكل واحد من رعيته. ويفرض عليه ما يأكل وما يلبس، ويوجب عليه أن يكون اليوم كله (ليله ونهاره) في العمل الرسمي، فلا يغلق عليه بابه ساعة ليخلو بنفسه، ويستريح من عمله. وكان

إذا بعث عماله قال: إني لم أبعثكم جبابرة، ولكن يعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم، وكان يؤكد ذلك ويكرره، ويدعو العمال جميعًا إلى مؤتمرات أو دورات تدريبية، على نحو ما تصنع دول العالم اليوم، حين تدعو السفراء إلى مؤتمر أو تدعو المديرين لدورة تدريبية.

كتب مرة إلى عماله أن يوافوه جميعًا في موسم الحج، فوافوه. فقام فقال: أيها الناس! إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليَّ. فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه!! فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين. أرأيت إن كان رجل من المسلمين واليًا على رعية فأدب بعضهم، إنك تقصه منه؟ قال: أي والذي نفسي بيده لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه. ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم! فقام رجل من الناس، فقال: يا أمير المؤمنين عاملك ضربني مائة سوط.

فقال عمر: أتضربه مائة سوط؟ قم فاستقد منه. فقام عمرو بن العاص فقال: دعنا إذن فلنرضه. فقال: دونكم. فأرضَوه بأن اشتريت منه بمائتي دينار. كل سوط بدينارين..!

***

نصيحة صادقة...

* دخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله – عز وجل – يوقفك ويُسائلك عن مثقال ذرة من الخير والشر، وإن الأمة

خصماؤك يوم القيامة، وإن الله – عز وجل – لا يضرى منك إلا بما ترضاه لنفسك، ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يُعدل عليك، وإن الله – عز وجل – لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية، يا أمير المؤمنين: إن وراء بابك نيرانًا تتأجج من الجور، والله ما يُحكم وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ، فبكى المنصور، فقال سليمان بن مجالد وهو واقف على رأس المنصور: يا عمرو! قد شققت على أمير المؤمنين! فقال عمرو: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أخوك سليمان بن مجالد، فقال له عمرو: ويلك يا سليمان! إن أمير المؤمنين يموت، وإن كل ما تراه يفقد، وإنك جيفة غدًا بالفناء، لا ينفعك إلا عمل صالح قدمته، ولقرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك، إذ كنت تطوي عنه النصيحة وتنهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين: إن هؤلاء اتخذوك سلمًا إلى شهواتهم، قال المنصور: فأصنع ماذا؟ ادع لي أصحابك أُوَلِّهم، قال عمرو: ادعهم أنت بعلم صالح تحدثه، ومر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس، واستعمل في اليوم الواحد عمالًا كلما رابك منهم ريب أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره، فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل، ليتقربنَّ به إليك من لا نية له فيه..!!

***

بر الوالدين...!!

* كان أمية بن الأسكر الكناني من سادات قومه، وكان له ابن اسمه كلاب، هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في الجند الغازي إلى الفرس، فقام أمية وقال لعمر: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر

سني، فقام إليه ابنه كلاب وكان عابدًا زاهدًا فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع لله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي!! فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل، وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربَّياك صغيرًا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي! فخرج عازيًا بعد أن أرضى أباه فأبطأ، وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت ثم أنشأ يقول شعرًا يبكي فيه ابنه، ويصف حاله بعده وحبه له.

فكتب عمر برد كلاب إلى المدينة. فلما قدم ودخل عليه، قال له عمر: ما بلغ من برّك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت إن أردت أن أحلب له لبنًا أجيء إلى أغزر ناقة في إبله، فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها (ضروعها) حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه! فبعث عمر إلى أمية فجاءه فدخل عليه وهو يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى، فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ فقال له: كما ترى يا أمير المؤمنين فقال: يا أبا كلاب، ما أحب الأشياء إليك اليوم؟ قال: ما أحب اليوم شيئًا، ما أفرح بخير ولا يسوؤني شر. فقال عمر: بل على ذلك - أي مع ذلك أخبرني -.

قال: بلى، كلاب.. أحب أنه عندي فأشمه شمة وأضمه ضمة قبل أن أموت.. فبكى عمر! قال عمر: ستبلغ ما تحب إن شاء الله تعالى.. ثم أمر كلابًا أن يحلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث بلبنها إليه ففعل وناوله عمر الإناء وقال: اشرب يا أيا كلاب. فأخذه فلما أدناه من فيه قال: والله يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب! فبكى عمر وقال له: هذا كلاب عندك وقد جئناك به.

فوثب إلى ابنه وضمه وجعل عمر والحاضرون يبكون وقالوا لكلاب:

الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه وصرفه مع أبيه.. ولم يزل مقيمًا عندهما حتى ماتا.. وكان كلاب من خيار المسلمين...!

* أتى أحد الولاة برجل قد جنى جناية، فأمر بضربه، فلما مُدّ قال: بحق رأسك أمك إلا عفوت عني! فأبى، فقال: بحق عينيها! قال: اضرب. قال: بحق خدَّيها ونحرها! قال: اضرب. قال: بحق ثدييها! قال: اضرب. ثال: بحق سرتها. قال: دعوه لا ينحدر إلى أسفل!

***

البلاء.. موكل بالمنطق...!!

* اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد فحضرت صلاة الجهر، فقدموا الكسائي فصلى بهم فارتج عليه في قراءة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، فلما سلم قال اليزيدي: قارئ أهل الكوفة يرتج عليه في ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ فحضرت صلاة الجهر فتقدم اليزيدي فصلى فارتج عليه في سورة الحمد! فلما سلم قال:

احفظ لسانك لا تقـل فتبتلـى إن الـبلاء موكَّـل بـالنُّطق..!!

***

الفهم السريع...

* اغتاب رجل رجلًا عند المأمون فقال له المأمون:

لقد استدللنا على كثرة عيوبك، بما تذكر من عيوب الناس؛ لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما هي فيه، لا بقدر ما فيه منها.

ولقد صدق الشاعر:

المرء يعــرف في الأنــام بفعلــه وخلائق الحــرّ الكــريم كأصــله
لا تــذكرنَّ أحــدًا بــذم ربمــا إن قلت شيئًا قيــل فيــك بمثلــه
هل أنت تجني سكرًا من حنظــل؟ والشيء يرجع في المذاق لأصــله

قال الإمام الشافعي – رضي الله عنه –:

إذا رمت أن تحيا سليمًا من الردى وذنبك مغفور وعرضــك صــيِّن
لسانك لا تذكر به عورة امــرئ فكلك عورات وللنــاس ألــسن
وعينك إن أبدت إليــك معائبًــا فدعها وقل يا عين للنــاس أعــين
وعاشر بمعــروف وســامح مــن وفارق ولكن بالتي هــي أحــسن

***

في بيت النبوة...

* عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى». قالت: من أين تعرف ذلك!

فقال: «أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم».

فقالت: قلت: أجل – والله – يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك[1].

***

(1) رواه البخاري.

نذير الموت...

قال أبو العتاهية:

لا تَعجـــبَنَّ مـــن الأيـــام والـــدّول
ومـــن خُطُـــوب جـــرت بالرّيـــث والعجـــل

مَن يـأمن المـوت إذ صـارت لـه عِلَـل
تكـــون في الزبـــد أحيانًـــا وفي العـــسل

ولـيس شـيءٌ وإن طـال الزمـان بـه
إلا ســيفنى علــى الآفــات والعِلَـل

أمـا الجديـدان في صَـرْف اختلافهمـا
فـإن وَجـدت مقـالاً فيهمـا فقُـل

وقـد أتـاك نـذير المـوت يقدُمُـه
في عارِضَـيْك مـشيب غـير منتقـل

يـا لليـالي وللأيـام إنَّ لهـا
في الخلـق خطفًـا كخطـف الـبرق في مهـل

مـاذا يقـول امـرؤٌ ليـست لـه قـدم
يـوم الغنـاء ويـوم الكَبْـو والزَّلـلِ

***

وصية والدة...

* قال أبان بن تغلب: شهدت أعرابية توصي ولدًا لها يريد سفرًا وتقول له: أي بني اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك، ثم قالت:

إياك والنميمة! فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب! فتتخذ غرضًا وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضًا إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته.

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك! وإذا هززت فاهزز كريمًا يلين لهزتك، ولا تهز اللئيم، فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، ومثل لنفسك مثال من استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم.

***

حسن الاعتذار...

* عن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ مكروهٌ قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة.

***

السورة التي تلي (النبأ)...!

* يروى أن أبا جعفر محمد بن عمران الكوفي حفظ الخليفة العباسي المعتز بالله سورة النازعات –وكان مؤدبه– وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة أنت؟ فقل التي تلي (النبأ)، فسأله عن ذلك، فقال: في السورة التي تلي (النبأ) فقال له: من علمك هذا؟ فقال: مؤدبي، فأمر له بعشرة آلاف درهم..!! كره أن يقل له في النازعات..

ذكاء القاضي...

* استودع رجل رجلاً مالاً، ثم رجع فطلبه فجحده.. فأتى إياسًا القاضي فأخبره، فقال له إياس: انصرف فاكتم أمرك ولا تعلمه أنك أتيتني، ثم عد إلي بعد يومين. فدعا المودع. فقال: قد حضر مال كثير، وأريد أن أسلمه إليك، فأحصين مترلك؟ قال: نعم، قال: فأعد له موضعًا وحمالين! وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك فاطلب المال. فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي! فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي، وإلا أتيت القاضي، وشكوت إليه، وأخبرته بأمري! فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال، وجاء الأمين إلى إياس لموعده. فزجره وانتهره، وقال: لا تقربني يا خائن!

***

القوي الأمين...!!

* بينما عثمان بن عفان في مال له في العالية، وفي يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال عثمان: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح؟ ثم دنا الرجل، فقال لمولاه: انظر من هذا؟

فقال: أرى رجلاً معممًا بردائه يسوق بكرين، ثم دنا الرجل فقال انظر من هذا؟ فنظر فإذا هو عمر بن الخطاب! فقال: هذا أمير المؤمنين.

فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب، فإذا لفح السموم، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال ما أخرجك في هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضي بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما..!! فقال عثمان: هلم إلى الظل والماء ونكفيك.

قال: عد إلى ظلك! قال: عندنا ما يكفيك. قال: عد إلى ظلك. ومضى. فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين، فلينظر إلى هذا..!

***

* يروى أن المأمون سأل اليزيدي عن شيء فقال: لا، وجعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين! فقال: لله درك ما وضعت واو موضعًا قط في لفظ أحسن منها في لفظ مثل هذا! ووصله بعطية سنية!

***

إنه حسدني عليك..

* لما بعث عبد الملك بن مروان الشعبي إلى ملك الروم، حسد المسلمين عليه. فبعث معه ورقة لطيفة إلى عبد الملك. فلما قرأها قال: تدري ما فيها؟ قال: لا. قال: فيها (عجب، كيف ملكت العرب غير هذا) أتدري ما أراد؟ قال: لا. قال: حسدني عليك. فأراد أن أقتلك، فقال الشعبي: لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني! فبلغ ذلك ملك الروم، فقال: والله ما أخطأ ما كان في نفسي!

***

وأي عبد.. اعبد من الخليفة...؟

* قدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس، في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (متعمم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة (أي يطليه بالقطران). فقال: يا أحنف، ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين. فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك؟! فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني ومن

الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة..!

***

اللهم إنا نعوذ بك من الجوع..

* حكى المؤرخ ابن كثير في (البداية والنهاية) في حوادث سنة سبع وتسعين وخمسمائة، أن الغلاء اشتد في هذه السنة بأرض مصر جدًا، فهلك خلق كثير من الفقراء والأغنياء..

أعقبه فناء عظيم..! حتى حكى الشيخ أبو شامة: أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحو من مائتي ألف... وعشرين ألف ميت.. وأكلت الكلاب والميتات وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير.. يشوي الوالدان صغيرهما ويأكلانه..!

وكثر هذا في الناس جدًا حتى صار لا ينكر بينهم.. فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوي الضعيف فذبحه وأكله.. وكان الرجل يحتال على الفقير فيأتي به ليطعمه أو ليعطيه شيئًا، ثم يذبحه ويأكله..! وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها.. ووجد عند بعضهم أربعمائة رأس.. وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى، فكان الأطباء يذبحون ويؤكلون.. كان الرجل يستدعي الطبيب ثم يذبحه ويأكله..! وقد استدعى رجل طبيبًا حاذقًا، وكان الرجل من أهل المال، فذهب الطبيب معه على وجل وخوف.. فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق.. ويذكر الله ويسبحه.. ويكثر من ذلك.. فارتاب به الطبيب وتخيل منه.. ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره، فإذا هي خربة

فارتاب الطبيب أيضًا، فخرج صاحب الرجل وقال له: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد..!! فلما سمعها الطبيب هرب فخرجا خلفه سراعًا فأفلت منهما ولكن بعد جهد وشر...!

***

صنائع كريمة:

قال عمرو بن العاص لمعاوية: يا أمير المؤمنين ما بقي من شبابك وتلذذك؟ قال: والله ما بقي شيء يصيبه الناس من الدنيا إلا وقد أصبته، أما النساء فلا أرب لي فيهن ولا لهن فيَّ، وأما الطيب فقد شممته حتى ما أبالي به، وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى ما أبالي ما ألبس، فما شيء ألذ عندي من شربة باردة في يوم صائف ونظري إلى بني وبني بني يدرجون حولي! فأنت يا عمرو ما بقي من لذتك؟ قال: أرض أغرسها فآكل من ثمرها وأنتفع بغلتها. ثم التفت معاوية إلى وردان فقال: يا وريد ما بقي من لذتك؟ قال: صنائع كريمة أعتقدها في أعناق الرجال لا يكافئوني عليها تكون لأعقابي من بعدي. فقال معاوية: تبًا لهذا المجلس يغلبنا عليه هذا العبد!

***

مكارم الأخلاق...

* قال الأشعث بن قيس لقومه:

إنما أنا رجل منكم، ليس لي فضل عليكم، لكن ابسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حوائجكم، أصون حريمكم، فمن فعل منكم مثلي، فهو مثلي، ومن زاد علي فهو خير مني، ومن زدت عليه فأنا خير منه.

قيل له: يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام؟

قال: حضهم على مكارم الأخلاق.

***

الغلام والملك...

* مر أحد الملوك بغلام يسوق حيوانًا بعنف وشدة، والحيوان بطيء الحركة، قليل الهمة، فقال الملك: يا غلام، أرفق بهذا الحيوان.

فقال الغلام: أيها الملك، في الرفق مضرة له.

فقال الملك: وكيف ذلك؟ وإني لا أرى مضرة غير الذي هو فيه الآن.

فقال الغلام: ذلك أنه إذا أبطأ يطول طريقه، ويشتد جوعه، ففي العنف إحسان إليه.

فقال الملك: وما الإحسان إليه؟

قال الغلام: يخف حمله، ويطول أكله.

فأعجب الملك بجوابه وكافأه.

فقال الغلام: هو رزق مقدور، وواهب مأجور.

فقل الملك: قد أمرت بإثبات اسمك في بطانتي.

قال الغلام: كفيت مؤونة، ورزقت بها معونة.

فقال الملك: ولولا حداثة سنك لاستوزرتك.

قال الغلام: لن يعدم الفضل من رزق العقل.

قال الملك: وهل تصلح لذلك يا غلام؟

قال الغلام إنما يكون المدح والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها.

***

فرحة العيد...!

مـــا أجمـــل العيـــد والأخـــلاق زاهـــرة
كأنهـــا مـــن ضـــياء العيـــد أنـــوار

ما أكمـــل العيـــد والأيـــدي مـــصافحة
والقلـــب للقلـــب إخـــلاص وإيثـــار

ما أرحم العيد من واســـى أخـــا نـــصب
كأنـــه مـــن همـــوم العـــيش آثـــار

وراح يمـــسح دمـــع اليتـــيم متعظًـــا
مـــن الجميـــل وخـــير الـــبر إســـرار

ما أحكم العيـــد إن صـــاغ الرجـــال في
تلقـــاهم والمـــنى كـــأس وأوطـــار

ما أعظم العيـــد فجـــرًا للحيـــاة تـــرى
فيـــه النـــهار ريـــاحين وأزهـــار

مـــا أروع العيـــد والـــدنيا مفـــردة
للعـــرب والـــسلم والإســـلام مختـــار

***

من وصايا الصالحين...

قال أحد الصالحين:

* إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله.

* وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله.

* وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله.

* وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

قال بعض الزهاد: ما علمت أن أحدًا سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان، فقال له رجل: إني أكثر البكاء، فقال: إنك إن تضحك وأنت مقر بخطئك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك، وإن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه.

* فقال: أوصني، فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها، وكن في الدنيا كالنحلة، إن أكلت أكلت طيبًا، وإن أطعمت أطعمت طيبًا، وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه.

***

موعظة بليغة:

* صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– منبر الكوفة، فحمد الله وخنقته العبرة، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه وجرت، ثم قال:

يا أيها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل، ويقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي.

ويأمر ولا يأتي، وينهى ولا ينتهي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين وهو منهم تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعافى فلا يشكر، ويبتلى فلا يصبر، كأن المحذر من الموت سواه وكأن من وعد وزجر غيره.

***

* قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: أيها الناس إنكم والله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم دعاء الحمام، وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان، ثم خرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة، فما أرجو لكم من جزيل ثوابه، وأتخوف عليكم من أليم عقابه.

***

دين ودنيا...

* قال ميمون بن مهران: إن راهبًا دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: ألم أخبر أنك تديم البكاء فمم ذاك؟ قال:

إني والله يا أمير المؤمنين عهدت الناس وما شيء عندهم آثر من دينهم، وما شيء اليوم آثر عندهم من دنياهم، فعلمت أن الموت خير للبر والفاجر، قال: فلما خرج، قال عمر: صدق يا أبا أيوب الراهب.

***

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها
فما تدري السكون متى يكون
إذا ظفرت يداك فلا تقصر
فإن الدهر عادته يخون

***

وهو حق الأرملة والمسكين...؟!

كان سفيان الثوري صديقًا لهارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة، يتردد عليه ويتعهده بالزيارة آونة بعد أخرى.. فلما ولي الخلافة انقطع عنه سفيان، فأرسل إليه الرشيد يطلب زيارته، ويعده بأن يغدق عليه العطاء،

كما أغدق على كثيرين من العلماء، فما كان من سفيان إلا أن بعث إلى الرشيد بكتاب شديد جاء فيه: من أين لك يا هارون أن تغدق العطاء على الناس، وهو حق الأرملة والمسكين والفقير؟.. وما جوابك لربك غدًا إذا جاءك هؤلاء يخاصمونك بين يديه ويقولون له: يا ربنا، سل عبدك هارون فيم منعنا حقنا وأعطاه من لا يستحقه؟.. فما كاد الرشيد يفرغ من تلاوة الكتاب، حتى بكى بكاءً شديدًا، وعلم أن صديقه قد أخلص له في النصح..!

***

دفاع عن أبي هريرة...!

* قال عمر بن حبيب القاضي: حضرت مجلس الرشيد يومًا، فجرت مسألة، فتنازعها الخصوم، وعلت الأصوات فيها، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ، فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام، حتى قال قائلون منهم: أبو هريرة متهم فيما يرويه! وصرحوا بتكذيبه! ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، فنظر إليَّ الرشيد نظر مغضب! وانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث أن جاءني غلام فقال: اجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن، فقلت: اللهم، إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه، وأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي، حاسر على ذارعيه، بيده السيف وبين يديه النطع، فلما بصر بي قال: يا عمر بن حبيب، ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت عليّ! فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الذي قلته

ووافقت عليه وملت إليه وجادلت عنه، إزراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، فإنه إذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين، فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة، فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغي إليه، وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ من الناس كلهم! فلما سمع كلامي رجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله! أحييتني أحياك الله! أحييتني أحياك الله!

***

الزم الحق.. يتبعك أهله..

* حج الخليفة المنصور سنة من السنين فسمع رجلاً يقول في الطواف: اللهم إني أشكوا إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع! فاستدعاه فقال له: ما هذا الذي تدعو به؟ ومن الذي دخله الطمع والظلم؟ فقال الرجل: إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق، وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض هو أنت! قال المنصور: ويحك! وكيف يدخلني الطمع، والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي؟ قال: يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمور رعيته وأموالهم، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابًا معهم السلاح واتخذت وزراء وأعوانًا ظلمة، إن نسيت لم يذكروك، وإن ذكرت لم يعينوك، وقالوا هذا قد خان الله فما لنا لا تخونه وقد سخر لنا؟ فأتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، وألا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرًا إلا أقصوه حتى تسقط مترلته ويصغر قدره، فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟ فقال

المنصور: كيف أفعل و لم أر من الناس إلا خائنًا؟ قال الرجل: الزم الحق يتبعك أهله، وانتصر للمظلوم من الظالم، وامنع المظالم، وأنا ضامن على أن من هرب منك من أهل الخير أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك، فقال المنصور: اللهم وفقني لذلك.

***

أعراض المسلمين...!

* قدم الزبرقان بن بدر على عمر يستعديه على الحطيئة، فرفعه عمر إليه وقال للزبرقان: ما قال لك؟ فقال الزبرقان قال لي:

دع المكـــــارم لا ترحـــــل لبغيتـــــها

وأقعد فإنك أنت الطــاعم الكاســـي

فقال عمر: ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أو لا تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشد علي منه سل ابن الفريعة (يعني حسان بن ثابت).

فقال عمر: علي بحسان، فجيء به. فقال: أتراه هجاء؟ قال: نعم وسلح عليه! وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان ولكنه أراد الحجة على الحطيئة فألقاه عمر في حفرة اتخذها محبسًا.

فجعل الحطيئة يستعطف عمر بالشعر ويرسله إليه فمن ذلك قوله:

مـــاذا تقـــول لأفـــراخ بـــذي مـــرخ

زغـــب الحواصـــل لا مـــاء ولا شـــجر

ألقيـــــت كاســـــبهم في قعـــــر مظلمـــــة

فـــاغفر عليـــك ســـلام الله يـــا عمـــر

أنـــت الإمـــام الـــذي مـــن بعـــد صـــاحبه

ألقـــى إليـــك مقاليـــد النـــهى البـــشر

لم يـــــؤثروك بهـــــا إذا قـــــدموك لهـــــا
لكـــن لأنفـــسهم كانـــت بـــك الأثـــر

وشفع له عبد الرحمن بن عوف فرق له عمر وأخرجه وقال له: إياك وهجاء الناس.

فقال: إذن يموت عيالي جوعًا، هذا مأكله عيالي، ونملة تدب على لساني، وهو مكسبي، ومنه معاشي. فدعا عمر بكرسي فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه، ودعا بإشفى (أي مثقب) وشفرة يوهمه أن سيقطع لسانه!! فقال له الزبرقان: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقطعه، فإن كنت لا بد فاعلاً فلا تقطعه في بيت الزبرقان، وضج الحطيئة من ذلك فقال لعمر: يا أمير المؤمنين إني والله قد هجوت أبي وأمي، وهجوت امرأتي، وهجوت نفسي، فتبسم عمر وقال: فما الذي قلت؟

قال: قلت لأمي:

تنحـــــي فاجلـــــسي مـــــني بعيـــــدًا
أراح الله منـــــــــك العالمينـــــــــا

وقلت لامرأتي:

أطـــــوف مـــــا أطـــــوف ثم آوي
إلى بيـــــت قعيدتـــــه لكـــــاع

فقال له عمر: فكيف هجوت نفسك؟ فقال: اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت:

أبـــــت شـــــفتاي اليـــــوم إلا تكلمـــــا
بـــسوء فمـــا أدري لمـــن أنـــا قائلـــه
أرى لي وجهًـــــا شـــــوه الله خلقـــــه
فقـــبح مـــن وجـــه وقـــبح حاملـــه

فاشترى منه أعراض المسلمين جميعًا بثلاثة آلاف درهم وأخذ عليه ألا يهجو أحدًا بعدها. وقام بعده مدة حياة عمر، ثم رجع إلى الهجاء بعد وفاته..!

***

هكذا يؤدب... الظالم...!!

اجتاز بدر بن حسنويه مرة في بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو يبكي.. فقال له: مالك تبكي؟ فقال: إني كان معي رغيفان أريد أن أتقوهما فأخذهما مني بعض الجند..! فقال: أتعرفه إذا رأيته..؟ قال: نعم، فوقف به في موضع مضيق حتى مر عليه ذلك الرجل الذي أخذ رغيفيه، فقال: هذا هو.. فأمر به أن ينزل عن فرسه وأن يحمل حزمته التي احتطبها حتى يبلغ بها المدينة..! فأراد أن يفتدي من ذلك بمال جزيل فلم يقبل منه.. حتى تأدب به الجيش كلهم..!

***

إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر..!!

* في غزوة خيبر قال رسول الله ﷺ لرجل ممن يدعي الإسلام: «**هذا من أهل النار...**» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديدًا فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار قاتل اليوم قتالاً شديدًا وقد مات، فقال النبي ﷺ: «**إلى النار**» فكاد بعض القوم يرتاب.. فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراح شديدة.. فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه..! فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «**الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله**» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.. وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر..

تجيئونني بالشاة والبقرة ويصاب رجل من المسلمين...!

استعمل عمر بن عبد العزيز جعونة بن الحارث على ملطية، فغزا فأصاب غنمًا، ووفد ابنه إلى عمر فلما دخل عليه وأخبره الخبر قال له عمر: هل أصيب من المسلمين أحد؟ قال: لا، إلا رويجل، فغضب عمر وقال: رويجل! رويجيل! مرتين، تجيئونني بالشاة والبقرة ويصاب رجل من المسلمين؟ لا تلي لي أنت ولا أبوك عملاً ما كنت حيًا..

***

لا تدقق في الحساب... مع أهلك..!

* خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى جميلاً! فأرسلت إليهما المرأة: لا بد أن أراكما، وأسمع كلامكما، فاحضرا إن شئتما، فاجلستهما بحيث تراهما. فعلم المغيرة أنها تؤثر عليه الفتى، فأقبل عليه فقال: لقد أوتيت حسنًا وجمالاً وبيانًا. فهل عندك سوى ذلك؟

قال: نعم فعدد عليه محاسنه، ثم سكت. فقال المغيرة: فكيف حسابك؟ فقال: لا يسقط عليّ مني شيء، وإني لأستدرك منه أقل من الخردلة، فقال له المغيرة: لكني أضع البَدْرة -صرة من المال- في زاوية البيت، فينفقها أهل بيتي على ما يريدون، فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها! فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إلي من الذي يحصي علي أدنى من الخردلة! فتزوجت المغيرة.

***

بين الموت والحياة...!!

* لما توفي محمد بن يحيى غسل وكفن وصلي عليه ثم دفن.. فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره، فلما حل عنه كفنه استوى

جالسًا.. وفر النباش هاربًا من الفزع..! ونهض محمد بن يحيى من القبر وأخذ كفنه معه وقصد منزله..! فوجد أهله يبكون عليه. فدق عليهم الباب فقالوا: من هذا؟ فقال: أنا فلان..فقالوا: يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا حزنًا على حزننا.. فقال: افتحوا والله أنا فلان..! فعرفوا صوته. ولما رأوه فرحوا به فرحًا شديدًا، وأبدل الله حزنهم سرورًا.. ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش..! ويظهر أنه كان قد أصابته سكتة قلبية. و لم يكن قد مات حقيقة.. فظنوا أن قد مات فدفنوه..! فقدر الله أن بعث له هذا النباش ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته وعاش بعد ذلك عدة سنين..!

***

إنه الفاروق..!

* قال عبد الله بن عباس: خرجت أريد عمر بن الخطاب فلقيته راكبًا حمارًا وقد ارتسنه بحبل أسود (أي جعله رسنًا له)، في رجليه نعلان مخصوفتان، وعليه إزار وقميص صغير، وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه، فمشيت إلى جانبه وجعلت أجذب الإزار وأسويه عليه، كلما سترت جانبًا انكشف جانب.. فيضحك ويقول: إنه لا يطيعك!! حتى جئنا العالية فصلينا، ثم قدم بعض القوم إلينا طعامًا من خبز ولحم، فإذا عمر صائم، فعجل يقدم إلي طيب اللحم ويقول: كل لي ولك، ثم دخلنا حائطًا فألقى إلي رداءه وقال: أكفنيه، وألقى قميصه بين يديه وجعل يغسله وأنا أغسل رداءه، ثم جففناه وصلينا العصر ومشينا..

***

الفساد والمفسدون..!

* كانت بلاد بدر بن حسنويه في غاية الأمن والرخاء.. ولما عاثت أمراؤه في الأرض فسادًا، عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز..! فجلسوا ينتظرون الخبز، فلما استبطأوه سألوا عنه.. فقال لهم: إذا كنتم تهلكون الحرث وتظلمون الزراع.. فمن أين تُؤتون بخبز؟! ثم قال لهم: لا أسمع بأحد أفسد في أرض بعد اليوم إلا أرقت دمه...!

***

بناء بغداد...

* كانت بغداد قبل أن يبنيها المنصور الخليفة العباسي الشهير ضيعة صغيرة يجتمع فيها على رأس كل سنة التجار من الأماكن القريبة منها، فلما عزم المنصور على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالزرع والمساحة وقسمة الأرضين ثم وضع بيده أول آجرة في بنائها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال ابنوا على بركة الله. وبلغ مجموع ما أنفق على بنائها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم، وبلغ عدد العمال المشتغلين فيها مائة ألف، وكان لها ثلاثة أسوار يلي الواحد منها الآخر.. وبلغ عدد سكانها مليوني نسمة، وبلغ عدد دروبها وسككها ستة آلاف بالجانب الشرقي وأربعة آلاف بالجانب الغربي، وكان فيها عدا دجلة والفرات أحد عشر نهرًا فرعيًا تدخل مياهها إلى جميع بيوت بغداد وقصورها..!

***

هذا ما فعله الصليبيون...!

* حين وصل الصليبيون في الحملة الثانية إلى معرة النعمان حاصروها حتى اضطر أهلها للاستسلام، بعد أن أخذوا من رؤساء الحملة عهودًا مؤكدة بالمحافظة على النفوس والأموال والأعراض. فما كادوا يدخلونها حتى ارتكبوا من الفظائع ما تشيب له الولدان، وقدر بعض المؤرخين الإفرنج الذين كانوا في هذه الحملة عدد الذين قتلوهم بين رجال ونساء وأطفال بمائة ألف! ثم تباعوا سيرهم إلى بيت المقدس، وشددوا الحصار على أهلها، ورأى أهلها أنهم مغلوبون لا محالة فطلبوا من قائد الحملة (طنكرد) الأمان على أنفسهم وأموالهم، فأعطاهم رايته يرفعونها على المسجد الأقصى ويلجؤون إليه آمنين على كل شيء، ودخلوا المدينة بعد ذلك، فياهول المجزرة، ويا لقسوة الإجرام! لجأ سكان القدس إلى الأقصى الذي رفعوا فوقه راية الأمان، حتى إذا امتلأ بمن فيه من شيوخ وأطفال ونساء ذبحوا ذبح النعاج، فسالت الدماء في المعبد حتى ارتفعت إلى ركبة الفارس، وطهرت المدينة بذبح كل من فيها تمامًا، حتى كانت شوارعها تعج بالجماجم المحطمة والأذرع والأرجل المقطعة والأجسام المشوهة، ويذكر مؤرخونا أن عدد الذين ذبحوا داخل المسجد الأقصى فقط سبعون ألفًا! منهم جماعة كبيرة من الأئمة العباد والزهاد فضلاً عن النساء والأطفال. لا ينكر مؤرخو الفرنج هذه الفظائع. وكثير منهم يتحدثون عنها فخورين!

***

وهذا ما فعله المسلمون..!

* وبعد ٩٠ سنة من هذه المجزرة فتح صلاح الدين بيت المقدس فماذا فعل؟.. لقد كان فيها ما يزيد على مائة ألف غربي بذل لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ قليل يدفعه المقتدرون منهم، وأعطاهم مهلة للخروج أربعين يومًا، فجلا منها أربعة وثمانون ألفًا لحقوا بإخوانهم في عكا وغيرهم. ثم أطلق كثيرًا من الفقراء من غير الفدية. وأدى أخوه الملك العادل الفدية عن ألفي رجل منهم، وعامل النساء معاملة لا تصدر عن أرقى ملك منتصر في العصر الحديث. ولما أراد البطريرك الإفرنجي أن يخرج سمح له بالخروج ومعه من أموال البيع والصخرة والأقصى والقيامة ما لا يعلمه إلا الله. واقترح بعض حاشية صلاح الدين عليه أن يأخذ ذلك المال العظيم، فأجابه السلطان: (لا أغدر به) ولم يأخذ منه إلا ما كان يأخذه من كل فرد! ومما يزيد في روعة هذا العمل الإنساني الذي عمله صلاح الدين في فتح بيت المقدس، أنه أرسل مع جماهير الغربيين الذي نزحوا من القدس لينضموا إلى إخوانهم من يحميهم ويوصلهم إلى أماكن الصليبيين في صور وصيدا بأمان، مع أنه لا يزال في حرب معهم! فهل تستطيعون أن تضبطوا أعصابكم حين تسمعون مثل هذا؟ واسمعوا بقية القصة.. اجتمع كثير من النساء اللواتي دفعن الجزية أو بنات لبعض من أسر أو قتل من الفرسان والجنود وذهبن إلى السلطان يتوسلن إليه قائلات: إنهن إما زوجات أو أمهات ولا عائل لهن ولا مأوى، ورآهن يبكين فبكى معهن تأثرًا وشفقة! وأمر بالبحث عن الأسرى من رجالهن، وأطلق الذين وجدهم وردهم إلى نسائهم. أما اللواتي مات أولياؤهن فقد منحنهن مالاً كثيرًا، وجعلهن يلهجن عليه بالثناء أينما سرن. ثم سمح

لهؤلاء الذين أعتقهم أن يتوجهوا مع نسائهم وأولادهم إلى سائر إخوانهم اللائجين في صور وعكا. فعل هذا بينما قصد بعض الفقراء الغربيين الذين تركوا القدس بعد فتحها إلى أنطاكيا، فأبى أميرها الصليـــبي أن يقبلهم فهاموا على وجوههم حتى آواهم المسلمون. وذهب فريق منهم إلى طرابلس وهي تحت حكم اللاتين، فطردوهم وأبوا قبولهم وسرقوا أمتعتهم التي منحهم إياها المسلمون!

***

كذب علي فأردت أن أخزيه..!

* استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المغيرة بن شعبة على البحرين. فكرهه أهلها فعزله عمر، فخافوا أن يرده عليهم، فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم به لم يرده علينا: قالوا: مرنا بأمرك. قال: تجمعون مائة ألف درهم، حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلي! فجمعوا ذلك، فأتى عمر، وقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة اختان هذا، فدفعه إليّ، فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب، أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف!! فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة! فقال عمر للدهقان: ما تقول؟ فقال: لا والله، لأصدقنك، والله ما دفع إلي قليلاً ولا كثيرًا. ولكن كرهناه، خشينا أن ترده علينا.. فقال عمر للمغيرة: ما حملك على هذا؟ قال: إن الخبيث كذب عليّ. فأردت أن أخزيه..!

***

ذكاء القاضي..!

جاء شاب إلى علي رضي الله عنه فشكا إليه جماعة كانوا مع أبيه في سفر. وقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله؟ فقالوا: ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعا إلى شريح، فاستحلفهم وخلى سبيلهم، فدعا علي بالشرط، فوكل بكل رجل رجلين، وأوصاهم أن لا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم. فقال: أخبرني عن أبي هذا الفتى: أي يوم خرج معكم؟ وفي أي مترل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمن غسله ودفنه؟ ومن تولى الصلاة عليه؟ وأين دفن؟ ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبر علي، وكبر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه، فسأله كم سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع.

فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برد الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبر، وكبر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم، فدعا آخر منهم، فهدده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهًا لما صنعوا؟ ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة، واستدعى الذي في السجن، وقيل له: قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقر بكل ما أقر به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم بالقتيل..!

***

والي حمص..

* بينما عمر بن الخطاب يتصفح الناس ويسألهم عن أمراء أجنادهم، إذ مر بأهل حمص، فقال: كيف أنتم؟ وكيف أميركم؟ قالوا: خير أمير يا أمير المؤمنين، إلا أنه قد بنى عُلّيَّة يكون فيها! فكتب كتابًا، وأرسل بريدًا، وأمره إذا جئت باب عُلّيَّته فاجمع حطبًا وأحرق الباب! فلما قدم جمع حطبًا وأحرق باب العلية، فدخل عليه الناس وذكروا أن هاهنا رجلاً يحرق باب عليتك! فقال: دعوه.. فإنه رسول أمير المؤمنين!

ثم دخل عليه فناوله الكتاب. فلم يضع الكتاب من يده حتى ركب. فلما رآه عمر، قال: احبسوه عني في الشمس ثلاثة أيام.

فحبس عنه ثلاثًا، حتى إذا كان بعد ثلاث، قال: يا ابن قرط!! الحقني إلى الحرة (وفيها إبل الصدقة وغنمها) حتى إذا جاء الحرة ألقى عليه جبة، وقال: انزع ثيابك واتزر بهذه. ثم ناوله الدلو!! وقال: اسق هذه الإبل فلم يفرغ حتى لغب (أي تعب). فقال: يا ابن قرط! متى كان عهدك بهذا؟ قال: مليًا (أي زمانًا) يا أمير المؤمنين. قال: فلهذا بنيت العلية وأشرفت بها على المسلمين والأرملة واليتيم؟ ارجع إلى عملك ولا تعد..!

***

* **أُتي عمر بن الخطاب بمال فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه.** فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة، وقال: أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك...!

***

سياسة الناس...!

* اجتاز الخليفة المعتضد يومًا في بعض أسفاره بقرية فيها مقثاة، فوقف صاحبها صائحًا مستصرخًا بالخليفة، فاستدعاه وسأله عن أمره، فقال: إن بعض الجيش أخذوا شيئًا من القثاء وهم من غلمانك.. فقال: تعرفهم؟ قال: نعم، فعرضهم عليهم فعرف منهم ثلاثة، فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم.. فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة الطريق..! فاستعظم الناس ذلك واستنكروه، وعابوا على الخليفة... وقالوا: قتل ثلاثة بسبب قثاء أخذوه؟! فأراد الخليفة أن يبين حقيقة الأمر لأمرائه ورجال دولته، فاتفق مع أحد جلسائه أن ينكر عليه ويتلطف في مخاطبته بحضرة الأمراء، فقام الرجل وقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء..! فقال: والله ما سفكت دمًا حرامًا منذ وليت الخلافة إلا بحثه، فقال له: فما بال الثلاثة الذين قتلتهم على القثاء..؟ فقال: والله ما كان هؤلاء الذين أخذوا القثاء.. وإنما كانوا لصوصًا قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم. فبعثت فجئت بهم من السجن فقتلتهم وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القثاء! وأردت بذلك أن أرهب الجيش لئلا يفسدوا في الأرض ويتعدوا على الناس، ويكفوا عن الأذى..! ثم أمر بإخراج أولئك الذين أخذوا القثاء فأطلقهم بعدما استتابهم وخلع عليهم وردهم إلى أرزاقهم...!

***

البحث عن الرجل المناسب...!

* أمر عمر بن الخطاب بكتابة عهد لرجل قد ولاه. فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر فلاطفه. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي

عشرة أولاد مثله ما دنا أحد منهم مني! قال عمر: فما ذنبي إن كان الله – عز وجل– نزع الرحمة من قلبك؟ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال: مزق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية؟!

وأراد عمر ان يستعمل رجلاً فبدر الرجل بطلب العمل، فقال له: قد كنا أردناك لذلك، ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه..!

وكان يقول: أشكو إلى الله جلد الخائن وعجز الثقة.

***

سلامة الصدر...!

* قالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قومًا إلا ممن إخوانك؟ قال لها: مه! و لم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك!! فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم!!

***

الطبيب المسلم..!

* زار أحد الأعاجم المستشفى الكبير الذي أنشأه السلطان العادل نور الدين الشهيد عام ٥٤٩هـ، فلما دخل المستشفى وكان ذلك عام ٨٣١هـ ونظر إلى كثرة أطبائه، وحسن العناية بمرضاه، وما يحتويه من المآكل والتحف واللطائف التي لا تحصى، أراد أن يختبر معرفة أطبائه، فتمارض وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الأطباء يتردد إليه ليختبر ضعفه، فلما جس نبضه علم أنه غير مريض، وأنه إنما أراد اختبار أطبائه، فوصف له الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والأشربة والفواكه المتنوعة! ثم بعد ثلاثة أيام

كتب له ورقة يقول فيها: إن الضيافة عندنا ثلاثة أيام! فعرف الأعجمي أنهم فطنوا لقصده، وأنهم استضافوه في المستشفى هذه. وكان نظام الدخول إلى المستشفيات التي كانت منتشرة آنذاك في العالم الإسلامي أنها مجانًا للجميع بحيث إنه لا فرق بين إنسان وآخر في دخول المستشفى وكان يسبق دخول المستشفى فحص في القاعة الخارجية فمن كان به مرض خفيف يكتب له العلاج، ويصرفه من صيدلية المستشفى، ومن كانت حالته المرضية تستوجب دخول المستشفى كان يقيد اسمه، ويدخل إلى الحمام، وتخلع عنه ثيابه فتوضع في مخزن خاص، ثم يعطي ثيابًا خاصًا بالمستشفى ويدخل القاعة المخصصة لأمثاله من المرضى ويخصص له سريرٌ مفروشٌ بأثاث جيد، ثم يعطى الدواء الذي يعينه له الطبيب، والغذاء الموافق لصحته، بالمقدار المفروض له، وكان غذاء المرضى يحتوي على لحوم الأغنام والأبقار والطيور والدجاج. وعلامة الشفاء أن يأكل المريض رغيفًا كاملاً ودجاجة كاملة في الوقعة الواحدة. فإذا أصبح في دور النقاهة أدخل القاعة المخصصة للناقهين. حتى إذا تم شفاؤه أعطي بدلة من الثياب جديدة، ومبلغًا من المال يكفيه إلى أن يصبح قادرًا على العمل، وكانت غرف المستشفى نظيفة تجري فيها المياه، وقاعاته مفروشة بأحسن الأثاث، ولكل مستشفى مفتشون على النظافة، ومراقبون للقيود المالية، وكثيرًا ما كان الخليفة أو الأمير يتفقد بنفسه المرضى ويشرف على حسن معاملتهم..!

***

الفقه في الدين..!!

* توجه عبد الله بن المبارك مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو

وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخي هناك ليس لنا شيء إلا هذا منذ الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة وقد حلت لنا الميتة أيام، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل!! فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال: عد منها عشرين دينارًا تكفينا إلى مرو وأعطها الباقي. فهذا أفضل من حجنا هذا العام، ثم رجع..!

***

حق المرأة الضعيفة...!

* أتت امرأة يومًا شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي! قال: من ظلمك؟ قالت: الأمير (أمير الكوفة) موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين، وقصت عليه شكاها، في أنه انتزع منها بستانها بعد أن عرض عليها بيعه فرفضت، فأرسل القاضي غلامه بكتاب منه يستدعيه إلى مجلس القضاء، فاستدعى الأمير صاحب الشرطة وقال له: امض إلى شريك وقل: يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك! امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها عليَّ؟ فقال صاحب الشرطة للأمير: إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك! فقال: امض ويلك! فخرج وقال لغلمانه: اذهبوا وأدخلوا لي إلى حبس القاضي بساطًا وفراشًا وما تدعو الحاجة إليه!! ثم مضى إلى شريك، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة فقال، القاضي لغلام المجلس: خذ بيده (أي بيد رئيس الشرطة) فضعه في الحبس! فقال صاحب الشرطة: والله قد علمت أنك تحبسني فقدمت ما أحتاج إليه إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فوجه الحاجب إليه،

وقال له: رسول أدى رسالة، أي شيء عليه حتى تحبسه؟ فقال شريك: اذهبوا به إلى رفيقه إلى الحبس فحبس! فلما صلى الأمير موسى العصر، بعث إلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي وقال لهم: امضوا إلى القاضي وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي، وأني لست كالعامة، فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر، فأبلغه الرسالة، فلما انتهوا من كلامهم، قال: من ههنا من فتيان الحي؟ فأجابه جماعة من الفتيان، فقال: ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس، ما أنتم إلا فتنة، وجزاؤكم الحبس! قالوا له: أجاد أنت؟

قال: حقًا حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم، فركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب السجن، وفتح الباب وأخرجهم كلهم، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، وجاءه السجان فأخبره، فكتب إلى الوالي كتابًا وقال لغلامه: الحق بثقلي (متاعي) إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذا تقلدناه لهم! وخرج نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى فركب في موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله! تثبت! انظر! إخوانك تحبسهم! دع أعواني! قال: نعم لأنهم مشو لك في امر لم يجز لهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعًا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي فأستعفيه مما قلدني، فأمر موسى بردهم جميعًا إلى الحبس وهو واقف مكانه، حتى جاءه السجان فأخبره برجوعهم جميعًا إلى السجن، فقال لأعوانه: خذوا بلجام دابته (أي الأمير) بين يدي إلى مجلس الحكم، فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس في مجلس القضاء، وجاءت المرأة المتظلمة وأجلسها مع الأمير بين يديه، فقال الأمير: أنا قد

حضرت، أولئك يخرجون من الحبس! فقال القاضي: أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس ثم سأل عن شكوى المرأة فاعترف بها ورد إليها بستانها وحقوقها، ثم قالت للقاضي: بارك الله عليك وجزاك خيرًا، ثم قامت من مجلسه، فلما فرغ قام وأخذ بيد الأمير وأجلسه في مجلسه وقال: السلام عليك أيها الأمير! أتأمر بشيء؟ فقال الأمير: أي شيء آخر؟ وضحك، فقال له شريك القاضي: أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع، وهذا القول الآن حق الأدب! فقام الأمير وانصرف إلى مترله وهو يقول: من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه!

***

الصدق مناجاة...!

* ذهب بلال الحبشي وصهيب الرومي رضي الله عنهما إلى أهل بيت من العرب يريدان أن يتزوجا منهم فقيل لهما: من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب. كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله، فقال القوم: بل تزوجانا والحمد لله، ثم انصرفا، فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وحروبنا مع رسول الله ﷺ؟ فقال بلال: أسكت فقد صدقت فزوجك الصدق!

***

العالم الفاصح..!

* لما بنى عبد الرحمن الناصر مدينته الخالدة (الزهراء) في الأندلس، تفنن في بنائها، وجعلها من أعاجيب المدن في العالم، وكان مما بناه فيها (الصرح الممرد) اتخذ لقبته قراميد من ذهب وفضة، حتى أنفق عليها مالاً عظيمًا.

وكان في قرطبة عالمها الفقيه الجريء (منذر بن سعيد) قاضي الجماعة، فهاله انهماك الخليفة الناصر في بناء الزهراء، وما أنفقه من أموال الدولة عليها.

وكان الناصر يحضر صلاة الجمعة في المسجد الجامع، ويستمع إلى خطبة قاضيه منذر بن سعيد، فوقف يخطب الجمعة، وكان مما بدأه في تقريع الناصر على إنفاقه الأموال وانهماكه في بناء الزهراء... أن تلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٤]، ثم وصل ذلك بقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النساء: ٧٦] ثم أخذ يذم تشييد البنيان والإسراف في الإنفاق عليه، حتى خشع القوم وبكوا وضجوا، ثم التفت إلى الناصر وقال له: ما ظننت أن الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكين، مع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين، حتى أنزلك منازل الكافرين! فاقشعر الناصر من قوله وقال: انظر ما تقول؟ كيف أنزلتني منازلهم؟ قال: نعم! أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٤]. فوجم الخليفة الناصر، ونكس رأسه مليًا ودموعه تجري على لحيته خشوعًا لله -تبارك وتعالى-، وندمًا على ما فعل..

ثم أقبل بعد انتهاء الخطبة والصلاة على قاضيه منذر بن سعيد فقال له: جزاك الله -تعالى- يا قاضي خيرًا عنا وعن المسلمين والدين، وكثر في الناس

أمثالك، فالذي قلت والله هو الحق، وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله – تعالى–، وأمر بأن ينقص سقف القبة، وأن تكون قراميدها ترابًا..!

***

الفاروق العادل...!!

* لما أصاب الناس هول المجاعة والقحط في عهد عمر، كان عمر لا ينام الليل إلا قليلاً ولا يجد الراحة إلا قليلاً. كان كل همه أن يدفع خطر المجاعة عن الناس، وما زال به الهم حتى اسمر وهزل وقال من رآه: (لو استمرت المجاعة شهورًا أخرى لمات عمر من الهم والأسى..) وجاءته يومًا قافلة من مصر تحمل اللحم والسمن والطعام والكساء، فوزعها بنفسه على الناس، وأبى أن يأكل منها شيئًا، وقال لرئيس القافلة.. ستأكل معي في البيت.. ومنى الرجل نفسه بطعام شهي.. إذ حسب أن طعام أمير المؤمنين سيكون خيرًا من طعام الناس.. وجاءا إلى البيت ينهكهما الجوع والتعب ونادى عمر فجيء بالطعام.. وكان ما أذهل الرجل وأدهشه: أن طعام أمير المؤمنين لم يكن لحمًا ولا سمنًا وإنما كان كسرات من الخبز الأسود اليابس مع صحن من الزيت..! وعجب الرجل من صنيع أمير المؤمنين وقال له: (لماذا منعتني من أن آكل مع الناس لحمًا وسمنًا، وقدمت لي هذا الطعام الذي لا يساغ؟) قال عمر: (ما أُطعمك إلا ما أُطعم نفسي..) قال: (وما يمنعك أن تأكل مما يأكل منه الناس وقد وزعت بيديك اللحم والطعام عليهم؟ قال عمر: (لقد آليت على نفسي أن لا أذوق السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعًا..)!!

***

حق الوالدين..!

* جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله إنني حججت بأمي من اليمن على ظهري، وطفت بها البيت وسعيت بها بين الصفا والمروة، ووقفت بها في عرفات، ودلفت بها إلى المزدلفة، ورميت لها الجمار بمنى، فعلت ذلك كله وهي عجوز لا حراك بها وأنا أحملها على ظهري فهل أديت حقها علي؟ فقال له ﷺ: «**لا!**» قال الرجل: لم؟ قال: «**لأنها فعلت ما فعلت بك في صغرك وهي تتمنى حياتك، وأنت فعلت ما فعلت بها وأنت تتمنى موتها**»!

***

بين الأوزاعي والمنصور...!

دخل الأوزاعي على المنصور بعد استخلافه، فقال له: يا أمير المؤمنين! قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت مسؤولاً عنهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام، وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه؟.. يا أمير المؤمنين لقد كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين، فأتاه جبريل فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبًا؟ فكيف يا أمير المؤمنين بمن شقق أستارهم، وسفك دماءهم، وخرب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيبهم الخوف منه؟ يا أمير المؤمنين: رض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، واعلم أن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك.. يا أمير المؤمنين: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووصفه، فهذه نصيحتي إليك

والسلام عليك. فقال له المنصور: لقد شكرت لك نصيحتك وقبلتها، والله الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، فلا تخلني من مطالعتك أياي بمثل هذا فأنت المقبول القول غير المتهم في النصيحة، فقال الأوزاعي: أفعل إن شاء الله ثم خرج..!

***

لست أجتاز على النار..!!

* ذكر في سبب وفاة الشاعر ابن الرومي أن وزير المعتضد القاسم بن عبد الله، كان يخاف من هجوه ولسانه، فدس عليه من أطعمه طعامًا مسمومًا وهو بحضرته فلما أحس السم قام.. فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى المكان الذي بعثتني إليه.. قال: سلم على والدي.. فقال: لست أجتاز على النار..!

***

من يصدق الله يصدقه..!

قال سعد بن أبي وقاص: قال لي عبد الله بن جحش يوم أحد: ألا ندعو الله..، فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إذا لقيت العدو غدًا فلقني رجلاً شديدًا بأسه شديدًا حرده، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول فيك وفي رسولك، فتقول صدقت..! قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط!

***

سراقة بن مالك يلبس سواري كسرى بن هرمز..!

* أُتي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقة بن مالك بن جُعشُم -رضي الله عنه- قال: فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز، فجعلهما في يده فبلغنا منكبيه، فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله! سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم، أعرابي من بني مدلج! ثم قال: اللهم إني قد علمت أن رسولك ﷺ كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك وزويت ذلك عنه نظرًا منك له وخيارًا، ثم قال: اللهم إني قد علمت أن أبا بكر -رضي الله عنه- كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك، فزويت ذلك عنه نظرًا منك له وخيارًا، اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكرًا منك بعمر، ثم تلا: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

ويذكر أن سراقة لما لحق برسول الله ﷺ يوم الهجرة كتب له رسول الله ﷺ كتاب أمان وقال له: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟.. وأسلم يوم الفتح.. ولما لبسهما قال له عمر: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي..! ويروى أنه قال له: يا سراقة قم فالبس، قال سراقة: فطمعت فيه فقمت فلبست، فقال: أدبر فأدبرت ثم قال أقبل فأقبلت ثم قال: بخ بخ، أعيرابي، من بين مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه.. رب يوم يا سراقة، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى، كان شرفًا لك ولقومك..! ثم قال: انزع، فنزعت، ثم قسم عمر تركة كسرى في المسلمين فأصاب عليًا قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفًا..!

إني قد أقرضت ربي بستاني...

قال عبد الله بن مسعود: لما نزلت هذه الآية: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ**﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: أرني يدك يا رسول الله. فناوله رسول الله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي -بستاني- قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح! قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي -عز وجل-...! فلما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم!! فقال النبي ﷺ: «**كم من عذق رداح.. في الجنة لأبي الدحداح**».

***

العزة بالإسلام..!

* لما قدم عمر -رضي الله عنه- الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خفيه فأمسكهما وخاض الماء ومعه بعيره، فقال أبو عبيدة لقد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض، فصك في صدره وقال: أوه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذل الناس فأعزكم الله برسوله، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله، وقيل له: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونًا تلقاك عظماء الناس ووجوههم؟! فقال: لا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا -وأشار بيده إلى السماء- خلوا سبيل جملي..!

***

الفهم الخاطئ...!

* كتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز –وكان قد استخلفه على البصرة– أما بعد: فإن الناس قد كثروا في الإسلام وخفت أن يقل الخراج! فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: فهمت كتابك، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا..! وكتب: إنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وإرسالك العمامة من ورائك! وأنك أظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن، وقد أظهر الله علي ما كنتم تكتمون والسلام..!

***

اللحم والبخل..!

* وكان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسًا فأكله فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرءوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ قال: نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام، ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عينا أو أذنا أو خدًا وقفت على ذلك، وآكل منه ألوانًا، عينه لونًا وأذنه لونًا ولسانه لونًا وغلصمته لونًا ودماغه لونًا، وأكفي مؤونة طبخه.. فقد اجتمعت لي فيه مرافق..!

***

سيف الله المسلول..!

* لما عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد لم يزل مرابطًا بحمص حتى مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائدًا فقال: إن خيلي وسلاحي على ما جعلته في سبيل الله –عز وجل–، وداري بالمدينة صدقة، قد كنت أشهدت

عليها عمر بن الخطاب ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتي وإنفاذ عهدي إلى عمر، فقدم بالوصية على عمر فقبلها وترحم عليه..

ومات خالد فقيرًا في بعض قرى حمص على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين. فحكى من غسله أنه ما كان في جسمه موضع صحيح من بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم..!

ولما حضرته الوفاة بكى وقال: لقد لقيت كذا وكذا زحفًا وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربه بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء..!

***

العلماء والدنيا..!

* جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين تفرقه ذلك، فرده، فانصرف الرسول ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال: عافاك الله.. هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته.. قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك..!

***

فما الذي غيرك..؟!

* قال أبو حازم الخناصري الأسدي: قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة والناس رائحون إلى الجمعة، فقلت إن أنا صرت إلى الموضع الذي أريد نزوله فاتتني الصلاة ولكن أبدأ بالصلاة، فصرت إلى باب المسجد فأنخت بعيري ثم عقلته ودخلت المسجد، فإذا أمير المؤمنين على الأعواد يخطب الناس، فلما أن بصر بي عرفني فناداني يا أبا حازم إليّ

مقبلاً؟ فلما أن سمع نداء أمير المؤمنين لي أوسعوا لي فدنوت من المحراب، فلما أن نزل أمير المؤمنين فصلى بالناس التفت إليّ فقال: يا أبا حازم متى قدمت بلدنا؟ قلت: الساعة وبعيري معقول بباب المسجد، فلما أن تكلم عرفته، فقلت: أنت عمر بن عبد العزيز؟ قال: نعم، قلت له: تالله لقد كنت عندنا بالأمس بالخناصرة أميرًا لعبد الملك بن مروان، فكان وجهك وضيًا، وثوبك نقيًا، ومركبك وطيًا، وطعامك شهيًا وحرسك شديدًا، فما الذي غير بك وأنت أمير المؤمنين؟ قال لي: يا أبا حازم أناشدك الله إلا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة؟ قلت له: نعم، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بين أيديكم عقبة كؤودًا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول**..» فبكى عمر بكاء عاليًا حتى علا نحيبه.. ثم قال: يا أبا حازم أفتلومني أن أضمر نفسي لتلك العقبة لعلي أن أنجو منها.. وما أظنني منها بناج..؟!

***

الدعوة إلى الله...!

* لما اعتزلت الحرورية علي بن أبي طالب – أتاهم ابن عباس فرأى عليهم آثار العبادة والاجتهاد في الدين.. فقالوا له: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم على أصحاب رسول الله ﷺ. نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثنه، قال قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثًا!! قلت وما هن؟ قالوا: أولاهن أنه حكم الرجال في دين الله وقد قال الله –عز وجل–: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾. قال قلت وماذا؟ قالوا: قاتل و لم يسب و لم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد

حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم!! قال قلت وماذا؟ قالوا ومحا نفسه عن أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين!! قال: قلت أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم! قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ**﴾ إلى قوله ﴿**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم الله أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال أخرجت من هذه؟ قالوا اللهم نعم! قال: وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم؟ أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم.

وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، وإن الله -عز وجل- يقول: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا اللهم نعم! قال وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فقال: «**اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**» فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي محمد بن عبد الله**» فرسول الله كان أفضل من علي..! أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.. فرجع منهم عشرون ألفًا، وبقي أربعة آلاف فقتلوا..!

لا تتمنى مشهدًا غيبك الله عنه..!!

* مر رجل بالمقداد بن الأسود فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ!! والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت فالتفت إليه المقداد فقال: ما يحمل أحدكم على أن يتمنى محضرًا غيبه الله -عز وجل- عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟! والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله -عز وجل- على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه و لم يصدقوه.. أو لا تحمدون الله إذا أخرجكم الله -عز وجل- لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم -عليه السلام- وقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافرًا وقد فتح الله -تعالى- قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار، وأنها للتي قال الله -عز وجل-: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ [الفرقان: ٧٤]..!

***

أكثر من الاستغفار...

* لما قال سفيان الثوري لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين:

لا أقوم حتى تحدثني! قال له: أنا أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله -عز وجل- قال في كتابه: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله -تعالى- قال في كتابه: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ**

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] يا سفيان: إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة، فعقد سفيان بيده. وقال: ثلاث وأي ثلاث. قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله ولينفعنه الله بها..!

***

من فوائد مجالس الذكر..

* إن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله -تعالى- فيه، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال:

خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم..؟ قالوا: جلسنا نذكر الله -تعالى-.

قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما أني لم استحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وأن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم**» قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا بك.. قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذاك**»؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: «**أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة**».

فهذه المباهاة من الرب -تبارك وتعالى- دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال.

فالمؤمن المبارك أين ما حل وارتحل فإنه يذكر الله -عز وجل-.. لأن

مجالس الذكر مجالس الملائكة.. ومجالس الغفلة مجالس الشياطين..

وذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ: فقال: «**يا أيها الناس.. ارتعوا في رياض الجنة**» قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ فقال: «**مجالس الذكر**». ثم قال: «**اعدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يحب أن يعلم مترلته عند الله، فلينظر كيف مترلة الله تعالى عنده. فإن الله يترل العبد من حيث أنزله من نفسه**»[١].

***

الدعاء...

* ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**».

والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه وهو سلاح المؤمن، كما في حديث علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض**»[٢] وله مع البلاء ثلاث مقامات:

الأول: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكنه قد يخففه، وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

وفي حديث عمر عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم يترل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[٣].

---

(1) حديث صحيح من كتاب الوابل الصيب لابن القيم ص (١٣٧).

(2) رواه الحاكم في مستدركه.

(3) رواه الحاكم والترمذي.

في حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1].

وفي مستدرك الحاكم: من حديث سعد عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم (كرب أو بلاء من بلايا الدنيا).. فدعا به يفرج الله عنه؟**» فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذي النون: «**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**».

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه
من جود كفك مع عودتني الطلبا
الرب يغضب إن تركت سؤاله
وابن آدم حين يسأل يغضب

***

من أفضل الأعمال...

* عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أدلكم على خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم.. وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله**»[2].

قال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وذكر رسوله -عليه الصلاة والسلام- تبعًا لذكره.

وأنواع الذكر ثلاثة:

الأول: ذكره بأسمائه، وصفاته، والثناء عليه بها.

الثاني: تسبيحه وتحميده وتهليله وتمجيده، وهو الغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين.

---

(1) رواه الحاكم والترمذي.
(2) رواه الترمذي.

الثالث: ذكره بأحكامه وأوامره ونواهيه، وهو ذكر أهل العلم.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٧].

ومن ذكره سبحانه: دعاؤه واستغفاره والتضرع إليه.

وقال الرسول ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: يا رسول الله ما المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[1].

***

مراتب الناس في الصلاة..

* الناس في الصلاة على مراتب خمس:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئًا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، وقد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه -تبارك وتعالى- فيها.

---

(1) من كتاب جلاء الأفهام لابن القيم ص(٢٤٠).

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها وقلبه متعلق بين يدي ربه تعالى ناظرًا ومراقبًا وممتلئًا من محبته وعظمته.. كأنه يراه ويشاهده.. وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وهو مشغول في صلاته بربه -عز وجل- قرير العين به فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم ما بين السماء والأرض.

* الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه.. لأنه جعل قرة عينه في الصلاة[1].

***

أفضل نعيم في الجنة...

* إن أفضل نعيم الآخرة وأجله وأعلاه على الإطلاق: هو النظر إلى وجه الرب -عز وجل- وسماع خطابه كما في صحيح مسلم عن صهيب الرومي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يخبركم به؟ فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال فكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه**».

فبين النبي -عليه الصلاة والسلام- أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم ربهم في الجنة لم يعطهم شيئًا أحب إليهم من النظر إلى وجهه الكريم.

ولهذا قال الله -سبحانه وتعالى- في حق الكفار: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ**﴾ [المطففين: ١٥-١٦].

فجمع عليهم نوعي العذاب عذاب النار، وعذاب الحجاب عنه سبحانه.

كما جمع لأوليائه نوعي النعيم: نعيم التمتع بما في الجنة، ونعيم التمتع برؤيته.

---

(1) الوابل الصيب لابن القيم ص (٤٩).

فهنيئًا لمن كان له الشرف العظيم بأن ينظر إلى رب العزة ورب العالمين ونسأل الله أن يجعلنا ممن يرونه ويجعلنا ممن قال فيهم: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**﴾ [المطففين: ٢٢-٢٣][1].

***

مفتاح الجنة...

* ذكر الإمام البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: (أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح وإلا لم يفتح).

* وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟**» قلت: بلى، قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»[2].

وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- لكل مطلوب مفتاحًا.

مفتاح الصلاة.. الطهور.

مفتاح الحج.. الإحرام.

مفتاح البر.. الصدق.

مفتاح الجنة.. التوحيد.

مفتاح العلم.. حسن السؤال وحسن الإصغاء.

مفتاح النصر.. الصبر.

مفتاح المزيد الشكر.

مفتاح الفلاح.. التقوى.

مفتاح الإجابة.. الدعاء.

---

(1) من كتاب إغاثة اللهفان ص(٦٢).

(2) رواه أحمد.

مفتاح العز.. طاعة الله ورسوله.

مفتاح كل خير.. الرغبة في الله والدار الآخرة.

مفتاح كل شر.. حب الدنيا وطول الأمل[1].

***

قاعدة عظيمة..

* اعلم أن كل حي سوى الله فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والمنفعة للحي من جنس النعيم.. واللذة والمضرة من جنس الألم والعذاب فلا بد من أمرين:

الأول: وهو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع به ويتلذذ به.

الثاني: هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع لحصول المكروه بعد وقوعه.

فهناك أربعة أشياء ضرورية للعبد.. بل لكل حي سوى الله عز وجل:

١- أمر محبوب مطلوب الوجوب.

٢- أمر مكروه مطلوب العدم.

٣- الوسيلة إلى حصول المحبوب.

٤- الوسيلة إلى دفع المكروه.

إذا عرف هذا فالله -سبحانه وتعالى- هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له.

هو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه. فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره وما سواه هو المكروه والمطلوب بعده، وهو المعين على دفعه.. فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه.. وهذا معنى

---

(1) من كتاب حادي الأرواح ص(٥٨).

قول العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فإن هذه العبادة يتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه.. والمستعان، هو الذي يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه.. فالأول من مقتضى ألوهيته والثاني من مقتضى ربوبيته.. لأن الإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكرامًا.. والرب هو الذي يرب عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله ومصالحه التي بها كماله.. ويهديه إلى اجتناب المفاسد التي بها فساده وهلاكه[1].

***

هي لرسول الله هدية.. ولنا ولمن بعدنا رشوة..؟!

* اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحًا فقال: لو أن عندنا شيئًا من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحًا، فلما جاء به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقرأ على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب! قال عمرو بن مهاجر: فقلت له يا أمير المؤمنين ابن عمك رجل من أهل بيتك!! وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا ولمن بعدنا رشوة..!

***

حقكم في هذا المال.. كحق رجل بأقصى البلاد..!

* لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة، وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، تكلم في ذلك عنبسة بن سعيد، فقال: يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة..؟ قال: لن يتسع مالي لكم.. وأما

---

(1) من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٥٣).

هذا المال فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد -مكان باليمن- ولا يمنعه من أخذه إلا بعد مكانه.. والله إني لأرى أن الأمور لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب الله ولفعل بهم..!

***

أين المعتبر..؟!

* التقى ابن عباس وكعب الأحبار فقال كعب: يا ابن عباس، إذا رأيت السيوف قد عريت، والدماء قد أهريقت، فاعلم أن حكم الله قد ضيع، وانتقم الله لبعضهم من بعض.

وإذا رأيت الوباء قد فشا، فاعلم أن الزنا قد فشا، وإذا رأيت المطر قد حبس، فاعلم أن الزكاة قد حبست، ومنع الناس ما عندهم، ومنع الله ما عنده..!

***

إذن.. فأين الله..؟!!

* قال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، فوضعوا سفرة، فمر بهم راع فقال له عبد الله: هلم يا راعي أصب من هذه السفرة. فقال: إني صائم. فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت في هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية. فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها -نذبحها- ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي، إنها لمولاي.

قال: فما عسيت أن يقول لك مولانا، إن قلت: أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟!

قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده، فاشترى منه الراعي والغنم، فأعتق الراعي ووهب له الغنم. رحمه الله.. وقال أعتقتك هذه الكلمة في الدنيا وأرجو أن تعتقك من النار في الآخرة.

***

العفو عند المقدرة..!!

* قال قيس بن عبد الملك: قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته وعرض له رجل بيده طومار، قال فظن القوم أن يريد أمير المؤمنين بسوء وخاف الرجل أن يحبس دونه فرماه بالطومار، فالتفت أمير المؤمنين فأصابه في وجهه فشجه!! فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو في الشمس، فقرأ الكتاب وأمر له بحاجته وخلى سبيله!

***

ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله...

* بكى عمر بن عبد العزيز يومًا، فبكت فاطمة زوجته، فبكى أهل الدار.. لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء.. فلما تجلى عنهم العبر قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله –عز وجل.. فريق في الجنة وفريق في السعير..!

اللهم من أفسد علي امرأتي.. فأعم بصره..!!

* كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى مترله كبر على باب مترله فتكبر امرأته فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته، فإذا بلغ إلى باب بيته كبر فتجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبر

فلم يجبه أحد.. وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه قال، فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة منكسة تنكت بعود معها. فقال لها: ما لك؟ فقالت: أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا -أي جعل لنا خادمًا- وأعطاك..؟! فقال: اللهم من أفسد عليّ امرأتي فأعم بصره. قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت: زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عشتم! قال: فبينا تلك المرأة جالسه في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت: ما لسراجكم طفئ؟ قالوا: لا فعرفت ذنبها. فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها. قال: فرحمها أبو مسلم فدعا الله -عز وجل- لها فرد عليها بصرها..!!

***

بالاستغفار.. تنال مبتغاك..

* جاء رجل إلى الحسن البصري فقال له يا تقي الدين إن السماء لم تمطر!! فقال له الحسن: استغفر الله. ثم جاءه رجل آخر فقال له: أشكو الفقر فقال له: استغفر الله. ثم جاءه ثالث فقال له: امرأتي عاقر لا تلد، فقال له: استغفر الله. ثم جاء بعد ذلك من قال له أجدبت الأرض فلم تنبت! فقال له: استغفر الله ثم جاء بعد ذلك من قال له: جف الماء في الأرض! فقال له: استغفر الله. فقال الحاضرون للحسن عجبنا لك يا حسن، أو كلما جاءك شاك قلت له: استغفر الله؟ فقال لهم الحسن: أو ما قرأتم قول الله تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح: ١٠-١٢].

***

هارون الرشيد يشاور...!!

* قال الإمام مالك بن أنس: شاورني هارون الرشيد في ثلاث، في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إمامًا يصلي في مسجد رسول الله ﷺ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ وأما تقدمتك نافعًا إما يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ فإن نافعًا إمام في القراءة، لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه.

قال: وفقك الله يا أبا عبد الله..!

***

هل قصدت ربك في أمر... فخذلك..؟!

* سأل أحد الصالحين رجلاً أثناء وعظه فقال: كم عاملته -تبارك اسمه- بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما احصي ذلك كثرة، قال: فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟ قلت: لا والله ولكنه أحسن إليَّ وأعانني، قال: فهل سألته شيئًا قط فما أعطاك؟ قلت وهل منعني شيئًا سألته؟ وما سألته شيئًا قط إلا أعطاني، ولا استعنت به إلا أعانني، قال أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء، قال: فربك -تعالى- أحق وأحرى أن تدأب نفسك في أداء شكر نعمه عليك، وهو قديمًا وحديثًا يحسن إليك،

والله لشكره أيسر من مكافأة عباده، فإنه –تبارك وتعالى– رضي بالحمد من العباد شكرًا..!!

***

نعم السيد كنت في الجاهلية.. ونعم السيد أنت في الإسلام..!!

* كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في بيت ومعه جرير بن عبد الله، فوجد عمر ريحًا فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ! فقال جرير: يا أمير المؤمنين أو يتوضأ القوم جميعًا؟ فقال عمر رضي الله عنه: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام..!

وكان عمر رضي الله عنه يقول: إن جريرًا يوسف هذه الأمة.. وذلك لجماله وحسنه.

***

لو كان في نيتكما الإصلاح.. لأصلح الله بينهما..!!

* بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلين حكمين، أحدهما من أهل الزوج والآخر من أهل الزوجة ليصلحا بين رجل وامرأته كان بينهما شقاق وخلاف.

وقال لهما: أصلحا بينهما، فذهبا ثم رجعا وقالا: يا أمير المؤمنين، لم يصطلحا..! فعلاهما عمر بالدرة..

فقالا: ما ذنبنا يا أمير المؤمنين..؟!

فقال: لو كان في نيتكما أن تصلحا بينهما لأصلح الله بينهما لأن الله يقول: ﴿**إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء: ٣٥]..!

***

وما أمر بقتله.. فحرام أكله..!

* جاء رجل من أهل خراسان إلى الإمام الشافعي وهو في المسجد الحرام فقال له: يا أبا عبد الله، ما تقوم في أكل فرخ الزنبور؟!

قال: حرام.

فقال الخراساني: حرام..؟

قال: نعم.. من كتاب الله.. وسنة رسوله ﷺ والمعقول..! أي دليل تحريمه، الكتاب والسنة والمعقول ثم قال الشافعي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧] هذا من كتاب الله.. وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر**» هذه سنة رسول الله، فقد ورد أن عمر بن الخطاب أمر بقتل الزنبور، وفي المعقول: أن ما أمر بقتله فحرام أكله..! فسكت الرجل ومضى.

***

ولمن خاف مقام ربه.. جنتان..

* جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة! ثم ندما واغتما جميعًا بهذه اليمين، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذا اليمين فلم يجد منها مخرجًا، ثم كتب إلى سائر البلدان من عماله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، قال خادم الرشيد: وكنت واقفًا بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه وكنت المعبر عنه، هل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث

ابن سعد فيمن أشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء وهارون يراعي الفقهاء واحدًا واحدًا، فقال: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، فقلت له: إن أمير المؤمنين يقول لك مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟ فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال: قل إن أمير المؤمنين يقول لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا لم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس؟! فقال: يخلي أمير المؤمنين من الفقهاء والناس ثم قال: تكلم! فقال: يدنيني أمير المؤمنين فقال: ليس بالحضرة إلا هذا الغلام، وليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمنين أتكلم على الأمان وعلى طرح التعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميـــع ما آمر به؟

قال: لك ذلك، قال يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ فلما بلغ: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: ٤٥] قال: قف يا أمير المؤمنين ههنا، فوقف فقال: يقول أمير المؤمنين والله، فاشتد على الرشيد وعليّ ذلك، فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين على هذا وقع الشرط!!

فنكس أمير المؤمنين رأسه -وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب- ثم رفع هارون رأسه إليه فقال: والله! قال: الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله؟ قال هارون: إني أخاف مقام الله، فقال: يا أمير المؤمنين فهي جنتان وليست بجنة واحدة، كما ذكر الله -تعالى- في

كتابه! فسمعت التصفيق والفرج من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد: ثم قال هارون: يا شيخ اختر ما شئت وسل ما شئت تحب فيه، فقال: يا أمير المؤمنين وهذا الخادم الواقف على رأسك؟ فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين والضياع التي لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إلي لأنظر في أمورها، قال: بل نقطعك إقطاعًا، فقال: يا أمير المؤمنين ما أريد من هذا شيئًا بل تكون في يدي لأمير المؤمنين، فلا يجري عليّ حيف العمال، وأعز بذلك، فقال: لك ذلك، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه واستأذن في الرجوع إلى مصر فحمل مكرمًا..!!

***

هل أمنت الموت يا أمير المؤمنين..؟!

* جلس عمر بن عبد العزيز يومًا للناس، فلما انتصف النهار ضجر وكل ومل، فقال للناس: مكانكم حتى انصرف إليكم، فدخل ليستريح ساعة، فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا: دخل، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعة.. قال: أوأمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم؟ فقام عمر من ساعته وخرج إلى الناس...!

***

فرقة الأصحاب..

* روي عن أبي العيناء الشاعر أنه قال: حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي. ودخلت يومًا على يحيى بن أكتم القاضي فقال: إن أمير المؤمنين المأمون قد جلس للمظالم ورد الحقوق إلى أهلها فهل لك في الحضور؟ فقلت: نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين. فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال: يا أبا العيناء حللت أهلا ووطئت سهلاً، ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟ فأنشدته:

لقـــد رجوتـــك دون النـــاس كلـــهم
وللرجـــاء حقـــوق كلـــها تجـــب
إن لم تكـــن لي أســـباب أعـــيش بهـــا
ففي العـــلا لـــك أخـــلاق هـــي الـــسبب

فقال لخازنه: يا سلام: انظر ماذا تجد في بيت مالنا دون مال المسلمين.

قال: بقية من مال، فقال المأمون: ادفع له مائة ألف درهم وابعث له مثلها في كل شهر، فلما كان بعد أحد عشر شهرًا انتقل المأمون إلى الرفيق الأعلى فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه. فدخل عليه بعض أولاده فقال: يا أبتاه: ماذا ينفع البكاء بعد ذهاب العين؟ فأنشد أبو العيناء هذين البيتين:

شـــيئان لـــو بكـــت الـــدماء عليهمـــا
عينـــاء حـــتى تؤذنـــا بـــذهاب
لم تبلغـــا المعـــشار مـــن حقيهمـــا
فقـــد الـــشباب وفرقـــة الأحبـــاب

***

المال والمرؤءة...

* دخل عمر بن عتبة يومًا على خالد بن عبد الله القسري فعرض به خالد وقال: إن ها هنا رجالاً إذا خفت أموالهم عولوا على الدين وأخذوا في الاستدانة. فقال عتبة: إن رجالاً تكون أموالهم أكثر من مرؤاتهم فلا يدانون ورجالاً تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم فيدانون على سعة ما عند الله، فخجل خالد وقال: إنك منهم ما علمت. وأمر له بمائة ألف درهم.

***

الإمام البخاري:

* قال عمر بن حفص الأشقر: فقدنا البخاري أيامًا من كتابة الحديث بالبصرة، فطلبناه في بيته وهو عريان، وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم، حتى اشترينا له ثوبًا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

***

المال والدار لهم..

* حكي أن عبد الله بن عامر اشترى من خالد بن عقبة داره بتسعين ألف درهم، وكانا جارين.

فلما كان من الليل، سمع عبد الله بن عامر بكاء أهل خالد، فقال عبد الله لزوجه: ما هذا البكاء؟

قالت: يبكون دارهم، ولولا الحاجة ما باعوها.

فقال: يا غلام، ائتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم.

***

وفد الشكر...

* وفد على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق، فنظر إلى شاب منهم يتهيأ للكلام، فقال: اكبروا أكبروا، فقالك يا أمير المؤمنين، إنه ليس بالسن، ولو كان الأمر كله بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك.

فقال عمر: صدقت، رحمك الله تكلم.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة، أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا، وقدمت علينا بلادنا، وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك.

قال: فمن أنتم؟ قال: وفد الشكر.

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فإن ناسًا خدعهم الثناء، وغرهم شكر الناس فهلكوا، وأنا أعيذك أن تكون منهم.

فألقى عمر رأسه على صدره.

***

فساد الرأي...!!

* لما عزم الخليفة المنصور على الفتك بأبي مسلم الخراساني فزع من ذلك عيسى بن موسى فكتب إليه:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر
فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فأجابه المنصور:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

حق الجار...

* قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**»[١].

***

فضل العلم..

* عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٢].

***

الحالقة..

* قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**» قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**» والمراد أن فساد ذات البين تحلق الدين[٣].

***

الذي يملك كشفها...

* جاء ابن أخ الأحنف بن قيس يشكو إليه كربًا أصابه، فأعرض عنه الأحنف، ثم عاد إليه شاكيًا مرارًا وهو يعرض عنه، فلما رآه لا يمسك قال له: يا ابن أخي إذا نزلت بك مصيبة فاشكها إلى الذي يملك كشفها ولا تشكها إلى المخلوقين، فإنما الناس منك رجلان، إما صديق أسأته وإما عدو شمته!

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه مسلم.

(3) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود.

المسلم نظيف...

* رأى رسول الله ﷺ رجلاً شعثًا قد تفرق شعره فقال: «**أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره؟**».

ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال: «**أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه**».

***

من صفات المسلم الحقيقي...

* يقول رسول الله ﷺ: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[1].

***

أما لك إلى ربك حاجة..؟

* صلى رجل إلى جوار عبد الله بن المبارك، وبعد أن فرغ من الصلاة قام عجلاً.

فجذب عبد الله رداءه، وقال له: أما لك إلى ربك حاجة؟

***

إنهم يصفون المسلمين...

* وصف رسل المقوقس جند عمرو بن العاص فقالوا:

رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد.. وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد.. يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم.

***

(1) أخرجه البخاري.

الشرك الأصغر..

* قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**»[1].

***

متى تهون المصيبة...؟

* قال ابن مسعود: من اشتاق إلى الجنة نازع في الخيرات، ومن خاف النار ترك الشهوات، ومن ترقب الموت زهد في الدنيا وهانت عليه المصيبات.

***

حتفها في سمنها...

* كتب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإياك أن تزيغ فتزيغ عمالك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة: نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمنة، وإنما حتفها في سمنها والسلام!

***

أين الهدية..؟

* جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي إلى سلمان -رضي الله عنه- فدخلا عليه في خص في ناحية المدائن، فأتياه فسلما عليه وحيياه ثم قالا: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم! قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري! فارتابا وقالا: لعله ليس الذي نريد؟ فقال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، وقد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، وإنما صاحبه

---

(1) أخرجه الطبراني.

من دخل معه الجنة فما حاجتكما؟ قالا: جئناك من عند أخ لك بالشام، قال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء، قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا بهدية، قال: اتقيا الله وأديا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء معه بهدية! قالا: لا ترفع علينا هذا إن لنا أموالاً فاحتكم فيها!! فقال: ما أريد أموالكما، ولكن أريد الهدية التي بعث بها معكما.

قالا: لا والله ما بعث معنا بشيء! إلا أنه قال: إن فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به لم يبغ أحدًا غيره، فإذا أتيتماه فأقرئاه مني السلام. قال فأي هدية كنت أريد منكما غير هذه؟ وأي هدية أفضل من السلام تحية من عند الله مباركة طيبة؟!

***

إنهم إخوة..

* أخذ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها الغلام فقال يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها! فرجع الغلام إلى عمر -رضي الله عنه - وأخبره.

فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل. فقال: اذهب بها إلى معاذ، وتله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله. تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ: فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا -ولم يبق في الخرقة إلا

ديناران- فدحا بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره. فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

***

يا سارية الجبل الجبل!

* بينما عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يخطب في الناس يوم الجمعة إذ به (يخرج) عن موضوع الخطبة وينادي: يا سارية بن حصن: الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم!) ثم يتابع حديثه، واستغرب، الناس والتفت بعضهم إلى بعض و لم يفهموا مراد أمير المؤمنين، خاصة وأن بين عمر وبين سارية أمير جند المسلمين مسيرة شهر، فلما قضيت الصلاة قال علي -رضي الله عنه: ما هذا الذي قلته؟ قال عمر: أسمعته؟ قال: نعم، أنا وكل من في المسجد، قال عمر: لقد وقع في خلدي أن المشركين قد اختبأوا فوق الجبل وأن المسلمين يمرون. فإن عدلوا ظفروا وإن جازوا الجبل هلكوا، فخرج مني هذا الكلام! وبعد مضي شهر جاء البشير بالنصر إلى المدينة فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وفي تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتًا يشبه صوت عمر يقول: يا سارية الجبل، الجبل، فرفعنا رؤوسنا فإذا العدو فوقه، فأخذنا حذرنا وعدلنا عنه فنجونا!

***

فرح عمر..!

* حكي أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون الكرة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره فأخذها، فجعلوا يطلبونها منه فأبى، فقال غلام منهم: إلا رددتها عليها، فأبى وأخذ يسب رسول الله ﷺ، فأقبلوا عليه بعصيهم يضربونه حتى مات، فرفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه فوالله ما

فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عز الإسلام وإن أطفالاً صغارًا شتم نبيهم فغضبوا وانتصروا، وأهدر دم الأسقف.

***

كرم حاتم...

* كان حاتم الطائي جالسًا تحت شجرة.. فاقترب منه رجل غريب وحياه ثم سأله عن حاتم الطائي وأين يجده؟ فسأله حاتم عن السبب فقال:

إني اكرم أهل مدينتي ولكني مهما بالغت في الكرم فإن المثل ما زال يضرب بكرم حاتم.. فجئت لأقتله فأشار حاتم إلى مكان بعيد وقال للرجل: تستطيع أن تجد حاتمًا عند الغروب نائمًا هناك متدثرًا بعباءته.

وذهب الرجل في الموعد المحدد فوجد رجلاً نائمًا وقد غطى وجهه فلم يظهر منه شيئًا.. فاستل سيفه وهم بقتله. ولكنه رأى قبل أن يغمده في جسد هذا الحاتم أن يرى وجهه فلما كشف الغطاء فإذا هو هذا الرجل الذي أرشده قبل قليل، فصاح غاضبًا: كيف تخدعني أيها الرجل حتى كدت أقتلك؟

قال حاتم: إني حاتم الطائي، وقد طلبت رأسي فلم أبخل به عليك.

ذهل الرجل وترك حاتم وهو يقول: إنك تستحق أكثر من كل ثناء يا حاتم.

***

في دبر كل صلاة...

* عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يومًا ثم قال: «**يا معاذ والله إني لأحبك**» فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك قال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1].

---

(1) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

كما تدين تدان..

* حكي أن رجلاً جلس يومًا يأكل هو وزوجته، وبين أيديهما دجاجة مشوية، فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره فذهب، فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته، وتزوجت برجل آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته، ادفعي إليه هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية، فسألها زوجها عن سبب بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها الأول وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول، فقال لها زوجها: أنا والله ذلك السائل.

***

الأحنف بن قيس...

* حكى أن بعض الخلفاءِ سأل رجلاً عن الأحنف بن قيس وعن صفاته، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن شئت أخبرتك عنه بثلاث، وإن شئت أخبرتك عنه باثنتين، وإن شئت بواحدة.

فقال: أخبرني عنه بثلاث.

قال: كان لا يحسد أحدًا، ولا يبغي على أحد، ولا يمنع أحدًا من حقه.

قال: فأخبرني عنه باثنتين.

فقال: كان الأحنف يفعل الخير ويحبه، ويتوقى الشر ويبغضه.

قال: فأخبرني عنه بواحدة.

قال: كان من أعظم الناس سلطانًا في قيامه على نفسه.

***

هبه لي وأربح شكري..

* قال الجاحظ: دخلت على صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب ولم يكن معي غلام يحفظه، ثم خرجت وإذا فوقه صبي، فقلت له: أتركب حماري بغير إذني.

قال: خفت أن يهرب فحفظته لك.

فقلت: لو هرب كان أحب إليّ من بقائه.

فقال الصبي: إن كان هذا رأيك في الحمار فاعمل على أنه قد هرب وهبه لي واربح شكري، فلم أدر ما أقول.

***

نصيحة بخمسة آلاف دينار...

* قيل: أتي الحجاج بصندوق، وقد أصيب في بعض خزائن كسرى، مقفل، فأمر بالقفل فكسر، فإذا فيه صندوق آخر مقفل، فقال الحجاج: من يشتري هذا الصندوق بما فيه ولا أدري ما فيه؟ فتزايد فيه أصحابه، حتى بلغ خمسة آلاف دينار فأخذ الحجاج ونظر فيه، وقال ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم، ثم أنفد البيع وعز على المشتري أن يفتحه ويريه ما فيه، ففتحه بين يديه فإذا فيه رقعة مكتوب فيها: من أراد أن تطول لحيته فليمشطها إلى أسفل.

***

صياح الديكة...

* روي أن أبا حاتم السجستاني البصري دخل أحد مساجد بغداد، فسأله بعض الحاضرين عن قوله تعالى: ﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ جنبوا أنفسكم ما يقال للواحد، فقال: (قِ)، فقيل له: (فما تقول في الاثنين؟) قال: (قِيا) فقيل

له: (وما تقول في الجمع) قال: (قُوا) ثم قال أبو حاتم السجستاني لأصحابه: (اجمعوا لي الثلاثة فقالوا: (قِ..قِيا.. قُوا).

وكان في ناصية المسجد رجل جالس، وبيده بعض الملابس، فقال لأحد أصحابه، احتفظ بهذه الثياب حتى أجيء، ثم مضى إلى صاحب الشرطة وقال: إني ظفرت بقوم من الزنادقة يقرأون القرآن على صياح الديكة، فما كان إلا سويعة حتى هجم بعض رجال الشرطة وأعوانهم على المسجد، وأخذوا تلك المجموعة من النحاة، وأستاذهم السجستاني، وساقوهم إلى مجلس صاحب الشرطة، فسأل صاحب الشرطة السجستاني عن الخبر فأعلمه، وفي تلك الأثناء اجتمع خلق كثير ينتظرون ما يكون من أمر هؤلاء النحاة وهم يتصايحون: (ق، قيا، قوا) ولكن صاحب الشرطة عنفهم وعذل أبا حاتم السجستاني وقال له: أمثلك يطلق لسانه عند العامة بهذا؟ لا تعد إلى مثل هذا أمام العامة.

***

طبيب وحانوتي..!

* كان لرجل غلام من أكسل الناس، فأرسله يومًا يشتري له عنبًا وتينًا، فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاءه بأحدهما دون الآخر فضربه ووبخه وقال له: ينبغي لك إذا استقضيتك حاجتين طلبت منك قضاءهما أن تقضي لي حاجتين.

وبعد ذلك بأيام مرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب، فغاب طويلاً ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله مولاه عنه.

فقال: أما ضربتني وأمرتني أن أقضي لك حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فإن شفاك الله فبها، وإلا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار.

لزوم السُّنَّة...

* قال الجاحظ: دخلت بلدة واسط، فبكرت يوم الجمعة إلى الجامع فقعدت فرأيت على رجل لحية لم أر أكبر منها، وإذا هو يقول لآخر، الزم السنة حتى تدخل الجنة.

فقال له الآخر: وما السنة؟

قال: حب أبي بكر بن عفان، وعثمان الفاروق، وعمر الصديق ومعاوية بن أبي شيبان.

قال: ومن معاوية بن أبي شيبان.

قال: رجل صالح من حملة العرش وكاتب النبي ﷺ وختنه -صهر- على ابنته عائشة.

***

كيف الصلاة عليك..؟

* عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦] جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد**»[1].

***

طلب العلم...

* قال المبرد: ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، والوزير الفتح بن خاقان، والفقيه إسماعيل بن إسحاق، فأما الجاحظ فإنه إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره -أي كتاب كان- وأما الفتح بن خاقان

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

فإنه كان يحمل الكتاب في خفه، فإذا قام بين يدي المتوكل للصلاة أخرج الكتاب، فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ مصلاه، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه، وأما إسماعيل بن إسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه.

***

أنا أعرف نفسي...

* كان يزيد بن المهلب بعد خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز مسافرًا في البرية صحبه ابنه معاوية، فمر بامرأة بدوية ذبحت لهما عنزًا فلما أكلا قال يزيد لابنه:

ما يكون معك من النفقة؟ قال: مائة دينار، قال: إعطها إياها.

فقال له ابنه: هذه فقيرة يرضيها القليل وهي لا تعرفك؟

فقال يزيد: إن كان يرضيها القليل فأنا لا يرضيني إلا الكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

***

كيف الأهل والأولاد..!

* كان أبو بكر الباقلاني من أفذاذ العلماء: لبيبًا، سريع الخاطر، وجهه عضد الدولة إلى ملك الروم في سفارة فقام بها خير قيام، وفي هذه الرحلة لقي كبير مطارنة الروم، فأراد الباقلاني أن يسخر منه فقال له محييًا:

كيف أنت؟ وكيف الأهل والأولاد؟

فاغتاظ وقال له محنقًا:

زعم من أرسلك أنك لبيب ذكي، أما علمت أن المطارنة منزهون عن الأهل والأولاد.

فقال الباقلاني: رأيناكم لا تنــزهون الله عن الأهل والأولاد، فهل المطارنة عندكم أقدس وأجل من الله سبحانه؟!

***

في تربية الأبناء...

* أوصى عتبة بن أبي سفيان مؤدب ولده قائلاً:

ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم منه فيتركوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وهددهم في ادبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك في بري، وإياك أن تتكل على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك.

***

علام تلومونني...؟

* خطب معاوية يومًا فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ [الحجر: ٢١] فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم؟

فقال له الأحنف بن قيس: إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله -عز وجل- لنا من خزائنه، فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه..

***

أي الزمان أفضل؟

* دخل مسلمة بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال: أي الزمان أدركته أفضل وأي الملوك أكمل؟

فقال: أما الملوك فلم أر إلا حامدًا وذامًا وأما الزمان فيرفع أقوامًا ويضع آخرين. وكلهم يذكر انه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم.

***

بر الوالد..

* قال المأمون: لم أرد أحدًا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة، فلما أخذ يحيى مضجعه، قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائمًا وهو في يده إلى المصباح حتى استيقظ يحيى من منامه.

***

غلام وجارية...

* كان لأعرابي امرأتان، فولدت إحداهما بنتًا وولدت الأخرى غلامًا فأخذت أم الغلام ترقصه يومًا لتغيظ ضرتها وقالت معايرة لها:

الحمد لله الكريم العالي ... أنقذني العام من الجوالي

من كل شوهاء كشن بالي ... لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص بنتها وتقول:

وما علي أن تكون جارية ... تكنس بيتي وترد العارية

تمشط رأسي وتكون الغالية
وترفع الساقط من خماريه
حتى إذا ما بلغت ثمانية
رديتها ببردة يمانية
زوجتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية

***

والله إنك لساحر...

* سرق أعرابي صرة دراهم، ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الإمام: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه: ١٧] فقال الأعرابي: والله إنك لساحر، ثم رمى بالصرة وهرب.

***

لم أسأل من يملكها...

* حج هشام بن عبد الملك أيام خلافته، فدخل الكعبة، فوجد فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعًا.

فاقل الخليفة: يا سالم: سلني حاجة!

فقال سالم: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره!

فلما خرج سالم من الكعبة خرج هشام في إثره وقال له:

الآن خرجت من بيت الله، فسلني حاجة.

فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

قال هشام: من حوائج الدنيا!

فقال سالم: إني ما سألت الدنيا ممن يملكها، فكيف أسألها ممن لا يملكها؟!

***

يفضله على ابنه...

* فضل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - أسامة بن زيد في فرض العطاء على ولده عبد الله فلم يزل الناس بعبد الله حتى كلم عمر فقال: أتفضل علي من ليس بأفضل مني؟ فرضت له ألفين، وفرضت لي ألفًا وخمسمائة و لم يسبقني إلى شيء؟

فقال عمر: فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عمر، وأن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر.

***

جنتي في صدري..

* لما ألقي شيخ الإسلام ابن تيمية في سجن القلعة بدمشق ظل فيه عامًا وبضعة أشهر، وقد تمت محاولة لإخراجه من السجن مقابل أن يتخلى عن بعض فتاواه فأبى وكان يقول:

ما يصنع بي أعدائي؟ إن جنتي وبستاني في صدري أين رحت: فجنتي معي ولا تفارقني، إن حبسي خلوة، وإخراجي من بلدي سياحة، وقتلي شهادة.

***

أصحاب النبي ﷺ:

* قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يصف أصحاب محمد ﷺ.

لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحدًا يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم

ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب ورجاء للثواب.

***

خذلة ونصر...

* روى أبو داود في سننه عن جابر وأبي طلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يخذل امرأً مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**».

***

إيثار ما بعده إيثار...

* قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته منه ومسحت به وجهه. فلما وجدته أشرت إليه أن أسقيه، فقال لي ابن عمي: نعم، فإذا برجل يقول: آه فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فجئته، فإذا هو هشام بن العاص. فلما أشرت إليه سمع آخر يقول: آه، فأشار إلي هشام أن انطلق إليه، فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فانصرفت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات!!

***

حروف المعجم في بدن الإنسان...

* قال عبد الملك بن مروان يومًا في بعض مجالسه: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه مرتبة وله علي ما يتمناه؟ فقال سويد بن غفلة: أنا لها يا أمير

المؤمنين، فقال: هات، فقال سويد: أنف، بطن، ترقوة، ثغر، جمجمة، حلق، خد، دماغ.. فقال آخر في المجلس: يا أمير المؤمنين أنا أقولها في جسد الإنسان مرتين، فقال سويد أنا أقولها ثلاثًا: أنف أسنان، أذن، واستمر.. فأعجب عبد الملك من بديهته وأجازه.

***

والله ينعم ويمتحن...

* قال جابر بن عبد الله: من كثرت نعم الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء، وإن لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال.

***

وصية أب لابنه...

* يقول عمرو بن عقبة: لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي: تقطعت عنك شرائع الصبا. فالزم الحياء تكن من أهله، ولا تفارقه فتبين منه، ولا يغرنك من اغتر بالله منك، فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك، فإنه من قال فيك من الخير ما لا يعلم إذا رضي، قال فيك من الشر مثله إذا سخط.

فاستأنس بالوحدة من جليس السوء تسلم من غب عواقبهم.

***

دموع الفرح..!

* مما روته عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: أن رسول الله ﷺ أتى أبا بكر -رضي الله عنه- في وقت لم يكن من المعتاد أن يأتي فيه. وبعد أن دخل رسول الله ﷺ، قال لأبي بكر: أخرج عني من عندك.

فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فداك أبي وأمي.

فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة.

تقول عائشة: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله.

قال: الصحبة.

قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذاك إلا اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ.

***

نطيع الله فيمن شتمنا...

* شتم رجل أبا ذر الغفاري الصحابي الجليل.. فقال لشاتمه:

لا تغرق في شتمنا.. ودع للصلح موضعًا. فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

***

نصائح الخليفة إلى مؤدب أولاده..

* قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده:

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبًا، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم يستاكوا عرضًا، ويمصوا الماء مصًا ولا يعبوا عبًا.

وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب، وليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهونوا عليهم.

***

لماذا لم يفر...؟

* يروى أن عمر -رضي الله عنه مر بعبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- وهو يلعب مع الصبيان، ففروا حين رأوا عمر، وثبت عبد الله، فقال له عمر: ما لك لا تفر مع أصحابك؟!

فقال: لم أجرم فأخاف منك، و لم يكن في الطريق ضيق فأوسع لك!

***

ذل السؤال...

* قال شريح القاضي:

من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق، فإن قضاها المسؤول استعبده بها، وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلاً، هذا بذل البخل، وذاك بذل الرد.

***

عندما يخلو الجوف يصفو الصوت..

* قال العتبي: قلت لرجل من أهل البادية: يا أخي إني لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، وعوامكم أظرف من عوامنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا!!

قال: وما تدري لم ذاك؟

قلت: لا.

قال: من الجوع، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه؟!

***

نصائح ومواعظ..

* كتب عليٌّ إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول:

(**أما بعد**: فإنك لست بسابق أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، واعلم بأن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، وأن الدنيا دار دول، فما كان منها

لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك).

***

الصحابة يدعون لعمر...

* كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يطعم الناس بالمدينة وهو يطوف عليهم وبيده عصا، فمر برجل يأكل بشماله فقال: يا عبد الله كل بيمينك، قال: يا عبد الله إنها مشغولة.

قال عمر: وما شغلها؟ قال الرجل: أصيبت يوم مؤتة.

فجلس عمر عنده -رضي الله عنه- يبكي!! فجعل يقول له: من يؤضئك؟ من يغسل رأسك وثيابك؟ من يصنع كذا وكذا؟ فدعا له بخادم: وأمر له براحلة وما ينبغي له، حتى رفع أصحاب محمد ﷺ أصواتهم يدعون لعمر -رضي الله عنه- مما رأوا من رأفته بالرجل واهتمامه بأمر المسلمين.

***

ملك لا يساوي شربة ماء...

* دعا الخليفة هارون الرشيد بقدح فيه ماء ليشرب به وكان بحضرته ابن السماك فقال له: يا أمير المؤمنين: لو منعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها؟

فقال الرشيد: بنصف ملكي كله.

قال: يا أمير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضى أن تفتدي من ذلك؟

قال: بنصف ملكي قال: يا أمير المؤمنين: أتغتبط بملك لا يساوي شربة ماء؟!

***

فوائد التغرب عن الأوطان...

تغــرب عــن الأوطــان في طلــب العــلا
وســافر، ففــي الأســفار خمــس فوائــد

تفــــرج هــــم واكتــــساب معيــــشة
وعلــــم وآداب وصــــحبة ماجــــد

فــإن قيــل في الأســفار هــم وكربــة
وتــشتيت شمــل وارتكــاب الــشدائد

فمــوت الفــتى خــير لــه مــن حياتــه
بــدار هــوان بــين واش وحاســد

***

ملح البلد...

* خرج الحسن البصري يومًا عند ابن هبيرة -وكان واليًا على العراق فإذا هو بالقراء على الباب..!! فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟! أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار! تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم! لقد لقحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله. أما والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم! أبعد الله من أبعد!!

يــا معــشر القــراء يــا ملــح البلــد
مــا يــصلح الملــح إذا الملــح فــسد؟!!

***

القاضي يحبس الابن...

* تقدم رجل إلى أبي حازم القاضي المعتمد ومعه أبوه يطالبه بدين له عليه، فأقر الأب بالدين، وأراد الابن حبس والده، فقال القاضي: هل لأبيك مال؟ قال: لا أعلمه، قال: فمنذ كم داينته بهذا المال؟ قال: منذ كذا وكذا، قال: قد فرضت عليك نفقة أبيك من وقت المداينة فحبس الابن وأطلق سراح الأب.

***

يريد ألفين فقط...

* قال رجل لمعاوية: اقطعني البحرين، قال: إني لا أصل إلى ذلك.

قال: فاستعملني على البصرة، قال: ما أريد عزل عاملها، قال: تأمر لي بألفين، قال: ذاك لك. فقيل له: ويحك أرضيت بعد الأوليين بهذا؟ قال: اسكتوا لولا الأوليان ما أعطيت الألفين.

***

هيبة الله -تعالى-...

* خرج الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى القلعة في يوم عيد، فشاهد الجنود مصطفين بين يدي السلطان نجم الدين، وقد خرج على قومه في زينته، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض، فناده الشيخ بأعلى صوته: يا أيوب! ما حُجتك عند الله إذ قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيع الخمور؟ فقال الملك: هل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة؟ قال الملك: يا سيدي، هذا ما أنا عملته، هذا من زمان أبي! فقال الشيخ: أأنت من الذين يقولون: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾ [الزخرف: ٢٢] فأمر الملك بإغلاقها فورًا! فلما عاد الشيخ إلى مدرسته قال له أحد تلاميذه: لم فعلت ذلك،

وكان يسعك نصحه بينك وبينه؟ فقال: يا بني، لقد رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه، قال التلميذ: يا سيدي أما خفته؟ قال العز: لقد استحضرت هيبة الله تعالى إذ خاطبته فصار السلطان أمامي كالقط!

***

وفيهم قدوة...

* اضطر الفقيه الكبير العلامة أبو البركات بن الحاج إلى طلاق زوجته السيدة عائشة الكنانية فما فاه بلغوه، أو هم بنقيصة، ولكنه احضر الشهود وتلا عليهم هذه الوثيقة الرائعة:

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد. يقول عبد الله الراجي رحمته المدعو بأبي البركات بن الحاج، اختار الله له ولطف به:

إن الله جلت قدرته أنشأ خلقه على طبائع مختلفة، وغرائز شتى، فمنهم السخي والبخيل وفيهم الشجاع والجبان، والغبي والفطن، والكيس والعاجز، والمسامح والمناقش، والمتكبر والمتواضع، إلى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق، فكانت العشرة لا تستمر بينهم إلا بأحد أمرين، إما بالاشتراك في الصفات أو في بعضها، وإما بصبر أحدهما على صاحبه مع عدم الاشتراك، لما علم الله إن بني آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح من عيل صبره، وعلى صاحبه، توسعة عليهم، وإحسانًا منه إليهم فلأجل العمل على هذا طلق عبد الله محمد أبو البركات الحاج زوجه الحر العربية المصوفة عائشة بنت الشيخ الوزير الحسيب النزيه الأصيل الطاهر القدسي المرحوم أبي عبد الله أبي إبراهيم الكناني المفيلي طلقة واحدة ملكت بها أمر نفسها عارفًا قدره، ونطق بذلك إراحة لها من عشرته، طالبًا من الله

أن يغني كلاً من سعته، وشهد على نفسه في صحبته وجواز امره يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الثاني عام إحدى وخمسين وسبعمائة).

***

حلم كبير...

* قال الأحنف بن قيس تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المقري: بينا هو قاعده بفنائه، محتب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك! فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس فقال: قم فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك، واحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة.

ثم أقبل على القاتل، فقال له: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك.

***

علي يقتل عدو الله...

* في غزوة الخندق جمع المشركون جيشًا عظيمًا حاصروا به المدينة.

فلما طال الحصار عليهم خرج عمرو بن ود فارس العرب فتوجه إلى المسلمين. وقال: من يبارز؟ فلم يجبه أحد من المسلمين.

فقال علي: فقال: أنا يا نبي الله، فقال له النبي ﷺ: «**اجلس إنه عمرو ابن ود**»، فنادى عمرو الثانية وسلط لسانه على المسلمين.

وقال: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فلم يجبه أحد من المسلمين.

وقام علي: فقال: أنا له يا رسول الله، فقال له النبي: «**اجلس إنه عمرو بن ود**»، فنادى عمرو الثالثة فلم يجبه أحد من المسلمين.

فقام علي فقال: أنا يا رسول الله فقال له النبي: «**إنه عمرو**» فقال علي: وإن كان عمرًا فأذن لي في الخروج إليه. فلما رآه عمرو قال: من أنت؟ قال: علي، فقال عمرو: ابن أبي طالب؟ قال: نعم.

فقال عمرو: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك وإني أكره أن أريق دمك، فقال علي: وأنا والله ما أكره أن أريق دمك، فلما سمع عمرو هذا منه غضب، وكان راكبًا على فرسه، وعلي واقف على قدميه، فقال له علي: كيف أقاتلك وأنت على فرسك!! فنزل عمرو وسل سيفه وكأنه شعلة وعقر فرسه، وهجم على علي. فاستقبله بدرقته. فضربه عمرو فيها فقدها وأصاب رأس علي، فضربه علي على عاتقه، فسقط عمرو قتيلاً، فكبر المسلمون فرحًا بقتل عدو الله.

***

قلب الإنسان...

* قال حكيم: أعجب ما في الإنسان قلبه.
* إن سنح له الرجاء أذله الطمع.
* وإن هاجه الطمع أهلكه الحرص.
* وإن ملكه اليأس قتله الأسف.
* وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ.

***

لا تعذب الرعية بل حاسبهم...

* كتب عدي بن أرطاة والي البصرة إلى عمر بن عبد العزيز يقول له: إن قبلي أناسًا من العمال قد اقتطعوا من مال الله -عز وجل- مالاً عظيمًا، لست أرجوا استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأى أمير

المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فعلت.

فكتب إليه عمر يقول: العجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني لك جنة من عذاب الله، وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله -عز وجل- فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه به البينة، ومن أقر لك بشيء فخذه بما أقر به.

وأيم الله، لأن يلقوا الله -عز وجل- بخياناتهم أحب إلي من ألقى الله بدمائهم.

***

الرجل يغزو والمرأة تحدِّث...

* قال ابن الأعرابي: ذكروا أن رجلاً قدم من غزاة، فاتاه جيرانه يسألونه عن الخبر. فجعلت امرأته تقول:

قتل من القوم كذا، وهزم كذا، وجرح فلان.

فقال ابنها متعجبًا: أبي يغزو وأمي تحدث.

***

هاديًا لا جابيًا...

* شكا أحد الولاة إلى عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- من أن كثرة الدخول في الإسلام تسبب نقصًا في دخل الدولة من الجزية.

فقال عمر قولته الخالدة التي تكشف عن طبيعة هذا الدين: (إن الله بعث محمدً ﷺ هاديًا و لم يبعثه جابيًا).

***

علام الحزن...؟

* مر إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن.. فقال له: أيها الرجل: إني سائلك عن ثلاث فأجبني.

قال الرجل: نعم.

قال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟

قال: كلا.

قال: أينقص من رزقك شيء قدره الله؟

قال: كلا.

قال إبراهيم: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟

قال: كلا.

فقال إبراهيم: فعلام الهم والحزن إذن؟

***

اشترها يا أمير...

* عرض على المتوكل جارية، فقيل له: إنها فصيحة شاعرة، فأراد أن يختبرها، وكان أبو العيناء الضرير جالسًا عنده، فطلب منه اختبارها.

فقال لها أجيزي: احمد الله كثيرًا.

فقالت: حيث أنشأك ضريرًا.

فقال: اشترها يا أمير، فقد أحسنت في إساءتها.

***

عاد إليه الكيس بخاتمه..

* قال الواقدي: حضر العيد وكنت في ضائقة شديدة، فقالت امرأتي: أما نحن فنصبر، وأما صبياننا فكيف نعمل في كسوتهم؟

قلت صبرًا وكان لي صديقان، فكتب إلى أحدهما أسأله العون والمساعدة، فوجه إلي كيسًا مختومًا فيه ألف درهم، فما استقر في يدي حتى بعث إلي صديقي الثاني يطلب مني العون والتوسعة، فأرسلت إليه الكيس بخاتمه ثم أخبرت امرأتي بما فعلت، فاستحسنته، و لم تعنفني.

وبعد قليل حضر صديقي الأول ومعه الكيس بخاتمه، وقال أصدقني عما فعلت بالكيس الذي بعثت به إليك، فعرفته الخبر، فقال إنك حين طلبت مني العون لم أكن أملك إلا هذا الكيس الذي بعثت به إليك، وأرسلت إلى صديقي فلان (الصديق الثاني) أسأله المواساة، فبعث إلي بهذا الكيس الذي أرسلته إليه.

***

واعظ كبير...

* روي أن سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي قدم المدينة للزيارة، وبعث إلى أبي حازم، فلما دخل عليه قال: تكلم يا أبا حازم.

قال: نعم يا أمير المؤمنين أتكلم:

لا تأخذ الأشياء إلا من حلها، ولا تضعها إلا في أهلها.

قال: ومن يقدر على ذلك؟

قال: من قلد من أمر الرعية ما قلدت.

قال: عظنا يا أبا حازم.

قال: اعلم أن هذا الأمل لم يصل إليك إلا بموت من قبلك، وهو خارج من يديك بمثل ما سار إليك.

قال: ما لك لا تجيء إلينا.

قال: ما أصنع بالمجيء إليك يا أمير المؤمنين.. إن أدنيتني فتنتني، وإن

أقصيتني أخزيتني، وليس عندما ما أرجو، وليس عندي ما أخافك عليه.

قال: فادفع إلينا حاجتك.

قال: قد دفعتها إلى من هو أقدر منك عليها، فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت.

***

سيد الأيام...

* قال ﷺ: «**سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله -تعالى-، وأعظم عند الله -تعالى- من يوم الفطر ويوم الأضحى فيه خمس خلال:**

خلق الله -عز وجل- فيه آدم.

وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض.

وفيه توفى الله آدم.

وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئًا إلا أتاه الله -تعالى- إياه ما لم يسأل حرامًا وفيه تقوم الساعة».

***

ليس للدنيا خلقنا...

* عن سعيد بن رزين قال: سمعت الحسن يعظ أصحابه يقول: والله لقد صحبنا أقوامًا كانوا يقولون: ليس لنا في الدنيا حاجة، ليس لها خلقنا، فطلبوا الجنة بغدوهم ورواحهم، نعم والله حتى أهرقوا فيها دماءهم، فأفلحوا ونجحوا، هنيئًا لهم لا يطوي أحدهم ثوبًا ولا يفترش ولا تلقاه إلا صائمًا ذليلاً متبائسًا، إذا دخل إلى أهله إن قرب إليه شيء أكله وإلا سكت لا يسألهم عن شيء؟

***

الشافعي...

* قال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه: أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له. فقال له: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض؟

***

ما أكمل أدب هذا الفتى...

* استأذن عبد الملك بن مروان في الدخول على معاوية بن أبي سفيان فأذن له فدخل وسلم وجلس وبعد أن فرغ انصرف فقال معاوية لجلسائه: ما أكمل أدب هذا الفتى؟

فقال أحد الحاضرين وكان حكيمًا: هذا الفتى يا أمير المؤمنين أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاق أربعة: يحسب البشر إذا لقي الناس، ويحسن الحديث إذا تحدث، ويحسن الاستماع إلى محدثه، ويحسن الوفاء إذا وعد.

قال معاوية: جميل، وما الأربعة التي تركها؟

قال الرجل: ترك مزاح لا يثق بعقله، وترك مجالسة من لا يرجع إلى الحق، وترك مخالطة من لا أدب عنده، وترك من القول والعمل كل ما يعتذر عنه.

***

حتى تنفقوا مما تحبون...

* رأى رجل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- يشتري كميات كبيرة من السكر، فتعجب أشد العجب، وقرر في نفسه أن يسأله عن سبب ذلك؛ لأنه يعرف تمامًا زهد أمير المؤمنين وصلاحه.

ولما سأله عن السبب قال -رضي الله عنه- لأتصدق به على الفقراء.

قال الرجل: ولما لا تتصدق بثمنه فربما كان المال أنفع لهم.

فأجابه -رضي الله عنه- لأني أحب السكر، وأردت أن أطعم الفقراء من أحب شيء إلى نفسي، فقد قال الله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

***

٤ × ٤...

قيل أربعة تؤدي إلى أربعة:

* العقل إلى الرياسة.
* والرأي إلى السياسة.
* والعلم إلى التصدير.
* والحلم إلى التوفير.

***

تسميات عربية...

يقال للأسد: أبو الحارث.

وللنمر: أبو عون.

وللهرة: أم خداش.

وللخنفساء: أم سالم.

وللضبع: أم عامر.

وللذئب: أبو زياد.

وللدجاجة: أم حفص.

وللثعلب: أبو الحصين.

وللديك: أبو نبهان.

وللفأرة: أم فاسد.

***

الكامل هو الله –سبحانه–...

* سئل حكيم:

من القوي؟ قال: هو من يستطيع أن يكبح جماح نفسه.

ومن الضعيف؟ قال: هو من تسمع صوته مدويًا.

ومن هو العبقري؟ قال: هو من يختلف عليه اثنان.

ومن هو العاقل؟ قال: من ينحني للعواصف.

ومن هو المجنون؟ قال: من يدعي العقل.

ومن هو التافه؟ قال: من يتصور أنه أذكى الناس.

ومن هو الثرثار؟ قال: من يتحدث دون معنى.

ومن هو الفصيح؟ قال: من يوجز في حديثه.

ومن هو العالم؟ قال: من تجد عنده المعرفة.

ومن هو الكاتب؟ قال: من يكتب بإحساسه لنفسه.

ومن هو التاجر؟ قال: من يكتب ليرضي الناس.

ومن هو الصادق؟ قال: من يصدق أولاً مع نفسه.

ومن هو الكاذب؟ قال: هو الشيطان بعينه.

ومن هو الناقص؟ قال: كل إنسان.

ومن هو الكامل: قال: الله سبحانه وتعالى.

***

كلام الله...

* قال الأصمعي: كنت أقرأ: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ والله غفور رحيم**﴾ [المائدة: ٣٨] وبجانبي أعرابي فقال: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله قال: أعد فأعدت فقال: ليس هذا كلام الله فانتبهت فقرأت ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، فقال: أصبت، هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، فقلت: من أين علمت؟ فقال: يا هذا عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع.

***

شهداء بدر...

* في المعركة التي فصل الله فيها بين الحق والكفر ونصر الحق على يد كوكبة صغيرة من الرجال الذي آمنوا بالله ورسوله.. في هذا اليوم العظيم استشهد أربعة عشر رجلاً.

فإذا كان الذين شهدوا بدرًا قد غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر.. فما بالك بالذين استشهدوا في بدر؟

١- عبيد بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف.

٢- ذو الشمالين بن عمر بن فضلة الخزاعي.

٣- مهجع مولى عمر بن الخطاب.

٤- عمير بن أبي وقاص.

٥- حاقد بن البكير الليثي.

٦- صفوان بن بيضاء.

٧- سعد بن خيثمة بن عمر بن عوف.

٨- مبشر بن عبد المنذر بن زبير.

٩- يزيد بن حارثة بن فسحم بن الحارث.

١٠- عمير بن الحمام.

١١- رافع بن المعلى.

١٢- حارثة بن سداتة.

١٣- عوف بن عفراء.

١٤- معوذ بن عفراء.

***

يجلسه مجلس الخصم...

* دخل الأشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة، فرحب به شريح وقال: مرحبًا وأهلاً بشيخنا، وأجلسه معه. وبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من أشعث فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك.

قال: بل أكلمه من مجلسي.

فقال له: لتقومن أو لآمرن من يقيمك.

فقال الأشعث: لشد ما ارتفعت!

فقال شريح: هل رأيت ذلك ضرك؟

قال: لا.

قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك، وتجهلها على نفسك!

***

الأولاد في اللغة...

* ولد كل ذي ريش يسمى (فرخًا).

* وولد الفرس يسمى: (مُهرًا، وفلوًا).

* وولد الحمار يسميك (جحشًا، وعفرًا).

* وولد البقرة يسمى: (عجلاً) والأنثى (عجلة).

* وولد الضأن يسمى: (سخلة وبهيمة) فإذا بلغ أربعة أشهر فهو (حمل) و(خروف).

* وولد الوحشي يسمى: (طفلاً).

***

جواب سديد...

* جاء جماعة من الخوارج إلى أبي حنيفة فقالوا له: هاتان جنازتان على باب المسجد، أما إحداهما فجنازة رجل شرب الخمر حتى كظته وحشرج بها فمات، والأخرى جنازة امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحبل قتلت نفسها.

فقال: من أي الملل كانا؟ من اليهود؟ قالوا: لا، قال: فمن النصارى: قالوا: لا، قال: أفمن المجوس؟ قالوا: لا، قال: من أي الملل كانا؟ قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: فأخبروني عن هذه الشهادة؟ أهي من الإيمان: ثلث أو ربع أو خمس؟ قالوا: إن الإيمان لا يكون ثلثًا ولا ربعًا ولا خمسًا قال: فكم هي من الإيمان؟ قالوا: الإيمان كله. قال: فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟ قالوا: دعنا عنك، أمن أهل الجنة هما، أم من أهل النار؟ قال: أما إذا أبيتم فإني أقول فيهما ما قاله نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: **﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦] وأقول فيهما ما قاله نبي الله عيسى بن مريم في قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٨] وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح إذ قالوا: **﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ**

الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١١-١١٤] وأقول ما قال نوح عليه السلام: **﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [هود: ٣١] فعندما سمع الخوارج هذا الكلام؛ والجواب السديد أسقط في أيديهم.

***

بأي شيء فضل...

* قال القاسم بن محمد: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي. ولئن كان يصوم إنا لنصوم. وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج!! قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يتصبح - خرج يبحث عما يوقد به المصباح- فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع. فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا. ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة.!!

***

أم الكبائر...

حكى الأصمعي أن عجوزًا من الأعراب جلست في طريق إلى فتيان يشربون نبيذًا فسقوها فطابت نفسها (فتبسمت) فسقوها قدحًا آخر (فاحمر وجهها وضحكت) فسقوها ثالثًا فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق: أيشربن النبيذ؟ قالوا: نعم.

قالت: زنين ورب الكعبة، والله إن صدقتم ما فيكم من يعرف أباه.

***

أوائل...

* أول من اكتشف الدورة الدموية في الإنسان العالم العربي ابن نفيس.

* أو جامعة في العالم جامعة القرويين في فاس بالمغرب التي تم إنشاؤها عام ١٨٥٩م.

* أول من وضع العملة في الإسلام هو عبد الملك بن مروان.

* أول من كتب في الأوراق الحجاج بن يوسف الثقفي وكانوا قبل ذلك يكتبون على الجلود.

* أول جبل وضع على الأرض هو جبل (أبو قبيس) بمكة المكرمة.

* أول مسجد بني في الإسلام (المسجد النبوي الشريف) بالمدينة المنورة.

* أول من استهل الخطاب بقول (أما بعد) هو قس بن ساعدة الأيادي وكان أبرز عرب الجاهلية في الخطابة والحكمة والنثر البليغ.

* أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي.

* أول من نقط المصحف يحيى بن يعمر بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي.

***

دواء عجيب...

* كان بعض الملوك قديمًا كثير الشحم، لا ينتفع بنفسه، فجمع الحكماء وقال: احتالوا لي حيلة كي يخفف عني لحمي هذا قليلاً، فما قدروا له على شيء.

فجاء رجل عاقل لبيب متطبب، فقال له الملك: عالجني ولك ما شئت من المال.

قال: أصلح الله الملك، أنا طبيب منجم دعني حتى انظر الليلة في طالعك لأرى أي دواء يوافقه فلما أصبح قال: أيها الملك الأمان، فلما آمنه قال: رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فإن اخترت عالجتك وإن شئت معرفة صدق ذلك فاحبسني عندك فإن كان قولي حقيقة خل عني وإلا فاقتص مني.

فحبسه الملك وأمر برفع الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتمًا وكلما مضى يوم من الشهر زاد غمًا حتى هزل جسمه، وخف لحمه وذاب شحمه فلم يبق من الشهر إلا يوم، بعث الملك إلى المنجم فأخرجه من سجنه وقال له: ما ترى قال: أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب، والله إني لم أعلم عمري فكيف أعلم عمرك، ولكن لم يكن عندي دواء لك إلا الغم: فلن اقدر على أن أجلب إليك الغم إلا بهذه الحيلة فإن الغم يذيب الشحم فاجازه الملك على ذلك، وأحسن إليه غاية الإحسان، وذاق الملك حلاوة الفرح بعد مرارة الغم.

***

السر في سجدتي السهو..

* سأل ابن معين معروفًا البلخي عن السر في سجدتي السهو في الصلاة فقال شرعت لنا عقوبة للقلب إذا سها وهو بين يدي الله -سبحانه وتعالى-.

***

إنه كان للأوابين غفورًا...

* ورد في بعض التفاسير أنه الرجل الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب والله أعلم.

***

قال الحكيم...

* عاديت الأعداء فلم أرى عدوًا لي أشد علي من نفسي، وعالجت الشجعان والسباع فلم يغلبني أحد إلا الصاحب السوء.

وأكلت الطيب وضاجعت الحسان فلم أر ألذ من العافية، وأكلت الصبر وشربت المر فما رأيت أشد من الفقر، وبارزت الشجعان فلم أر أغلب من المرأة السليطة، ورميت بالسهام ورجمت بالأحجار فما أر أصعب من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق، فتصدقت بالأموال والذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ضلالة إلى الهدى وسرت بقرب الملوك وصلاتهم فلم أر أحسن من الخلاص منهم.

***

من أقوال الحكماء..

* قال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعًا، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعًا، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعًا.

قيل لبعض الحكماء:

من الذي يسلم من معاداة الناس؟

قال: من لم يظهر منه لا خير ولا شر.

قيل له: وكيف ذلك؟

قال: لأنه إن ظهر منه خير عاداه الأشرار، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار.

***

اختيار الإخوان...

قال بعض الحكماء:

إخوان الصفا خير مكاسب الدنيا، وهم:

زينة في الرخاء، وعدة عند البلاء، ومعونة على الأعداء.

وقيل لخالد بن صفوان: أي الإخوان أحب إليك فقال: الذي يسد خلتي، ويغفر زلتي، ويقيل عثرتي.

وقيل شر الإخوان: الواصل في الرخاء، الخاذل في الشدة.

وقالوا: صديقك من صدقك وده وبذل لك رفده.

وقيل: خير الإخوان: من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك.

وقال بعض الحكماء:

ما يجب للصديق على الصديق: الإغضاء عن زلاته، والتجاوز عن سيئاته، فإن رجع وإلا عاتبه بلا إكثار، فإن كثرة العتاب مدرجة للقطيعة.

وقال حكيم:

لا تقطع أخاك على ارتياب

ولا تهجره بدون استعتاب

وقال بعض الحكماء:

شروط الصداقة إقالة العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة، وقال عمر بن الخطاب: لقاء الإخوان جلاء الأحزان.

وقال بعض الحكماء:

لا يفرط الأديب في الحب للصديق، ولا يتجاوز في عداوة عدوه.

فإنه لا يدري متى ينقلب الصديق عدوًا، ولا يدري متى ينقلب العدو صديقًا.

***

أقوال في الحلم...

* قال علي بن أبي طالب: من لانت كلمته وجبت محبته.

وقال حلمك على السفيه، يكثر أنصارك عليه.

وقال الأحنف بن قيس: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات.

وقال: رب غيظ تجرعته مخافة مما هو أشد منه.

وقال بعضهم: إياك وعزة الغضب، فإنها تصيرك إلى ذل الاعتذار.

***

كلمات للتأمل...

السكوت: نصف القرار. التودد: نصف العقل.

العتاب: نصف الصلح. الوهم: نصف المرض.

الندامة: نصف التوبة. كظم الغيظ: نصف الانتقام.

الرفيق: نصف الطريق. الوحدة: نصف السجن.

سؤال الحبيب: نصف زيارته.

سئل بعض الحكماء:

عن أضعف الناس، وأقوى الناس، وأصبر الناس، وأغنى الناس فقال:

أضعف الناس: من ضعف عن كتمان سره.

أقوى الناس: من قوي على غضبه.

وأصبر الناس: من ستر فاقته.

وأغنى الناس: من قنع بما تيسر له.

قال بعض الحكماء:

العتاب: علامة الوفاء، سلاح الأكفاء حاصد الجفاء.

وقال آخر: العتاب رائد الإنصاف، وشفيع المودة.

وقال بعض الحكماء:

لا تمارين حليمًا ولا سفيهًا: فإن الحليم يغلبك، والسفيه يؤذيك.

قال سقراط:

أثن على ذي المودة خيرًا عند من لقيت، فإن رأس المودة حسن الثناء، وكما أن رأس العداوة سوء الذكر.

أوصى بعض الحكماء ابنه:

فقال: يا بني من أمن المكابد، لقى الشدائد، ومن أمن المكر لقي الشر، لا تقطع قريبًا وإن كفر، ولا تأمن عدوًا وإن شكر، واعلم أن ضعف النظر يورث العثار، وضعف الرأي يورث الدمار.

قال حكيم لابنه:

يا بني اطلب في الحياة العلم والمال.

تحز الرئاسة على الناس، لأنهم خاص وعام.

فالخاصة: تفضلك بما تحسن.

والعامة: تفضلك بما تملك.

***

قال الحجاج بن يوسف يومًا لطبيبه....

* صف لي صفة آخذ بها في نفسي ولا أعدوها قال له:

لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيا، ولا تأكله حتى تنعم طبخه ولا تشرب دواء إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضجيها، ولا تأكل طعامًا إلا أجدت مضغة، وكل ما أحببت من الطعام والشرب عليه: فإذا شربت فلا تأكل، ولا تحبس الغائط ولا البول، وإذا أكلت بالنهار فنم: وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة.

***

الأطباء الثلاثة...

* قال طبيب الروم: كل قليلاً ولا تكن عليلاً.
* قال طبيب فارس: كل قصدًا ولا تلق من الكظة جهدًا.
* قال طبيب الهند: كل قدرًا ولا تضيق به صدرًا.

***

أوصى حكيم ابنه:

فقال: يا بني إني موصيك بوصية، فإن لم تحفظ وصيتي عني لم تحفظها من غيري:

اتق الله ما استطعت، وإن قدرت أن تكون اليوم خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله، وإياك وما يتعذر وما يتعذر منه، فإنك لن تعتذر من خير أبدًا، وإذا عثر عاثر فاحمد الله ألا تكون هو يا بني، خذ الخير من أهل ودع الشهر لأهله، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت ترى ألا تصلي بعدها.

***

أوصى بعض الحكماء بنيه:

فقال: يا بني، إياكم والجزع عند المصائب، فإنه مجلبة للهم وسوء الظن بالرب وشماتة للعدو، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين. ولها آمنين، فإني والله ما سخرت من شيء إلا نزل بي مثله فاحذروها وتوقعوها، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تتعاوره السهام فمجاوز ومقصر عنه وواقع عن يمينه وشماله حتى يصيبه بعضها، واعلموا أن لكل شيء جزاء ولكل عمل ثواب، وقد قالوا: كما تدين تدان ومن بر يومًا بر به.

***

قال الحكماء...

أصعب الأحوال:

* حال عجزت فيها عن الوصول إلى ما فيه راحة.

وأكدى المطالب:

* الرغبة إلى غير مناسب لك.

* وأحسن إلى من شئت تكن أميره.

***

قال ابن لقمان لأبيه...

يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال، قال: فإذا كانت ثلاثًا، قال: الدين والمال والحياء، قال فإذا كانت أربعًا؟ قال: الدين والمال والحياء والسخاء. قال: فإذا كانت خمسًا؟ قال: الدين والمال والحياء والسخاء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت ستًا؟ قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقي ولله ولي ومن الشيطان بريء.

وسئل بعض الحكماء:

* أي الأمور أشد تأييدًا للفتى. وأيتها أشد إضرارًا به.

قال: أشدها تأييدًا للفتى ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت.

وأشدها إضرارًا به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وقال حكيم:

جالسوا الأمراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء.

أوصى بعض الحكماء ابنه:

فقال له: يا بني.

لا تُلاح حديدًا، ولا تصاحب بخيلاً، ولا تساكن غيورًا ولا تشارك حسودًا.

***

مكاتبة جرت بين الحكماء...

بين حكيمين: عتب حكيم على حكيم: فكتب المعتوب عليه إلى العاتب: يا أخي، إن أيام العمر أقصر من أن تحتمل الهجر. فرجع إليه.

***

ثلاثة في الحكم...

- ثلاثة يجب ضبطها: اللسان والأعصاب والهوى.
- ثلاثة تزيد في الأنس: الزيارة، المؤاكلة، المحادثة.
- ثلاثة تقر بها العيون: الزوجة الصالحة، الولد الصالح، الصديق الودود.
- ثلاثة يثبتن لك الود في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.
- ثلاثة ينسين المصائب: مر الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الإخوان.
- ثلاثة تفسد المروءة: الالتفات في الطريق، والشح، والحرص.

يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا بما قد نال، وحسن الصبر بما قد فات.

- ثلاثة من كن فيه فقد أصاب البر: سخاء النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام.
- ثلاثة يبلغن العبد رضوان الله -تعالى-: كثرة الصدقة، وكثرة الاستغفار، ولين الجانب.

- ثلاثة ليس معهم حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يداخلها حسد، ومرض يداخله هرم.

- ثلاثة يجب مداراتهم: الملك السليط، والمرأة، والمريض.

- ثلاثة يعذرون في سوء الخلق: المريض، المسافر، الصائم.

- ثلاثة أشياء تخلف العقل وتفسد الذهن: طول النظر في المرآة، والاستغراق في الضحك، ودوام النظر في البحر.

- ثلاثة أشياء تفسد: الهم، والوحدة، والفكر.

- ثلاثة تهدم الرجل: الجماع على البطنة، ودخول الحمام على البطنة، وأكل القديد اليابس.

- ثلاثة ثورث الهزال: شرب الماء على الريق، والنوم بغير غطاء، وكثرة الكلام برفع الصوت..

- من فقد ثلاثة ساء عيشه: النساء، والمال، والإخوان.

- ثلاثة لا راحة فيها إلا بالمفارقة لها: السن المتآكلة المتحركة، والعبد الفاسد على مولاه، والمرأة الناشز عن زوجها.

- ثلاثة نواطق وإن كانت خرسًا: كسوف البال دليل على رقة الحال، وحسن البشر دليل على سلامة الصدر، والهمة الدنية دليل على الغريزة الردية.

- ثلاثة ليس لهم رأي: صاحب المرأة السوء، وحابس البول، وصاحب الخف الضيق.

- ثلاثة تنفع بالدنيا مع ثوابها في الآخرة: الحج: ينفي الفقر، الصدقة: طرد البلاء، والبر: يزيد في العمر.

- ثلاثة تكدر العيش: الزوجة الشريرة، جار السوء، والعاق لوالديه.

- ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: الشريف من دنيء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.

- ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الأخ إلا عند الحاجة، ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب، ولا يعرف الحليم إلا عند الغضب.

-ثلاثة يفرح بها الجسم ويربوا: الطيب، والثوب الناعم، وشرب العسل.

- ثلاثة لا غنى بها عن ثلاثة: أفره الدواب، لا غنى بها عن السوط، وأعف النساء لا غنى بها عن الزوج، وأعقل الرجل لا غنى به عن المشورة.

- ثلاثة لا يعدم المرء الرشد فيها: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبب إلى الناس.

- ثلاثة يمتحن بها أخلاق الرجال: في هواه إذا هوى، وعند غضبه إذا غضب، وعند طمعه إذا طمع.

- ثلاثة لا يصدقون: صبر الجاهل على المعصية، وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبت كنتها.

- ثلاثة لا يستصلح فسادهن: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في الملوك.

- ثلاثة تضر بأربابها: الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة، والتفريط في العمل اتكالاً على القدرة، وتكلف ما لا يطاق اتكالاً على القوة.

***

أربع في الحكم...

- أربع من سعادة ابن آدم: المركب الوطيء، الزوجة الصالحة، المسكن الواسع، والجار الصالح.

– أربع: من شقاوة ابن آدم: المركب الصعب، الزوجة السوء، المسكن الضيق، الجار السوء.

– أربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقرابة إلى المودة، والعقل إلى التجربة.

– أربعة لا بقاء لها: مودة الأشرار، والبيت الذي ليس فيه تقدير، والمال الحرام، والكسب الذي ليس معه تقدير.

– أربعة لا تستقبل القليل منها: الدين، والنار، والعداوة، والمرض.

– الأذلاء أربعة: النمام، والكذاب، والمديان، والفقير.

– أربعة لا تشبع من أربعة: عين من نظر، وأذن من خبر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر.

– أربع إذا كانت في الرجل أهلكته: حب النساء، وحب الصيد، وحب الفخار، وحب الخمر.

– أربع لا يشبعن: النار من الحطب، والبحر من الماء، والموت من الأرواح، والشره من المال.

إياك وأربع: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني.

احتمل لأخيك أربع: الغضب، والهفوة، والذلة، والملالة.

– أربع عزهن ذل: البنت ولو مريم، والدين ولو درهم، والغربة ولو ليلة، والسؤال ولو أين الطريق.

– أربع علامات الجاهل: من غضب على ما لا يرضيه، وجلس إلى ما لا يدنيه، وتكلم بما لا يرضيه، وتفاقر إلى ما لا يغنيه.

– أربع تزيد في ماء الوجه: المروءة، والوفاء، والكرم، والتقوى.

– أربع تظلم البصر: كثرة البكاء، والمشي حافيًا، والتصبح والإمساء

بوجه البغيض، والنظر في الخط الدقيق.

– أربع تيبس الوجه: الكذب، والوقاحة، وكثرة الفجور، وكثرة السؤال.

– عليك بأربع: البشاشة، والكلمة اللينة، واللطف والرفق.

– أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والختان.

– أربع تهدم البدن: الهم، والحزن، والسهر، والجوع.

– يسود الرجل بأربع: بالعقل، والأدب والعلم، والمال.

– أربع من كن فيه ألقى الله عليه المحبة: بر الوالدين، ورفق بمملوكه، وكفل اليتيم، وإغاثة الضعيف.

– أربع تفرح: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى المحبوب، والنظر إلى الثمار، والنظر إلى الماء الجاري.

– أربع لا يشبع منهن: الحياة، والعافية، والنساء، والمال.

– أربع تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير.

– أربع من كنوز الجنة: كتمان المعصية، وكتمان الفقر، وكتمان الصدقة، وكتمان المرض.

– أربع تؤكد المحبة: حسن البشر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك الشقاق.

– أربع خصال يمتن القلب: الذنب على الذنب، ملاحاة الأحمق، وكثرة مجالسة النساء، والجلوس مع الموتى.

– اجتمعت الحكماء على أربع: لا تحملن ما لا تطيق، ولا تعمل عملاً ليس فيه منفعة، ولا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثر.

خمسة في حكم...

خمسة مرحومون:

عزيز قوم ذل، وغني افتقر، وحبيب مل، وفقيه ضل، وفصيح كل.

خمسة أشياء ضائعة:

سراج في شمس، ومطر في سبخة، وحسناء تزف إلى عنين، وطعام جيد قدم إلى سكران، ومعروف وضع عند من لا شكر له.

خمسة أشياء من أعطيها فقد كمل عيشة:

صحة البدن، والسعة في الرزق، والأمن، والأنيس، والدعة، ومن حرمها فقد حرم.

خمسة متندمون:

المفرط إذا فاته العمل، والمنقطع عن إخوانه إذا نابته النوائب، والمستكن من عدوه ثم يفوته تدبيره، والمفارق للزوجة الصالحة إذا ابتلي بسيئة الخلق، والجريء على الذنوب إذا حضر الموت.

خمسة تفرح القلب..

الطيب، الثوب الناعم، الغسل، ولقاء الأحباب، والأكل الدسم.

***

آفات اللسان...

* **قال ابن القيمة –رحمه الله–:**

وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى:

آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها.

فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مراء مداهن إذا لم يخف

على نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين.

وأهل الوسط: وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أن تضره في الآخرة.

وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها كلها. ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به.

***

زهديات...

ذنوبك يا مغرور تحصى وتحسب
وتجمع في لوح حفيظ وتكتب

اما تذكر الموت المفاجيك في غد
أما أنت من بعد السلامة تعطب

وغمضت العينان بعد خروجها
وبسطت الرجلان والرأس يعصب

وقاموا سراعًا في جهازك أحضروا
حنوطًا وأكفانًا وللماء قربوا

وغاسلك المحزون تبكي عيونه
بدمع غزير واكف يتصبب

فيانفس خافي الله وارجي ثوابه
فهادم لذات الفتى سوف يقرب

***

الوقت...

* **يقول ابن القيم:**

(وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم فإذا قطع وقته في الغفلة السهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا خير له من حياته).

***

مزايا صاحب القرآن...

* ذكر الشيخ عبد الرحمن الدوسري في تفسيره (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم).

قال: إن من تشرب قلبه بالقرآن وانحشى صدره وخالط دمه في عروقه صار فيه ميزتان من بين البشر:

الأولى: أنه محفوف بنور الله، فهو في حصانة عقلية عن تقبل الأفكار والمذاهب المادية.. لحمله لبضاعة السماء واكتفائه بها.. فليس في قلبه متسع لغزو شياطين الإنس ببضائعهم الفكرية الأرضية ولا يستطيعون إغراءه على الانزلاق في حظيرتهم.

الثانية: أنه يكتسب قوة معنوية لا تعرف ضعفًا ولا لينًا ولا خورًا ولا تكثرت بالشدائد والصعاب بل يضرب الذكر عنها صفحًا كيلا تحز في قلبه وتورثه حسرة شأن الضعفاء الماديين.. فهو لا يكبوا إلا لينهض ولا ينهض إلا ليثبت في المقاومة ولا يثبت إلا ليجاهد متحسبًا في نصرة دين الله وإعلاء كلمته – سبحانه– فانحشاء صدره بوحي الله وتحقيق جوارحه لعبوديته يجعله جمرة

حمراء.. وشعلة تتلظى.. لا تزيده الأحداث إلا قوة، فلا يتأخر خطوة إلا ليتقدم خطوات بعيدة المدى، لا يبتغي العزة من غير الله، ولا يخيفه شيء أبدًا سوى ذنوبه التي داويها دائمًا بالتوبة النصوح مراقبًا لله في حركاته وسكناته كلها). انتهى.

***

كيف تختم القرآن كل شهر...

* القرآن الكريم يتكون من ثلاثين جزءًا، والجزء فيه عشر ورقات، وكل ورقة فيها وجهان ليصبح مجموع الجزء الواحد عشرين وجهًا، ومعلوم أن السنة فيها ١٢ شهرًا وفيها -ما يكون غالبًا- ستة شهور ثلاثون يومًا، وستة شهور كل منها تسعة وعشرون يومًا.

وإذا كان الشهر ٢٩ يومًا فيمكن تعويض هذا اليوم بقراءة خمسة أوجه كل جمعة، فإذا قرأنا كل يوم ورقتين ونصف -أي خمسة أوجه- يصبح المجموع عشر ورقات أي عشرين وجهًا، وبذلك يكون القرآن قد اكتمل خلال شهر واحد. وإليكم هذه الطريقة التي إذا اتبعت فإنها سوف تساعدكم إن شاء الله على ختم القرآن الكريم كل شهر.

الطريقة:

تحضر قبل الصلاة المفروضة بعشر دقائق على الأقل ليمكنك قراءة صفحتين أي مقدار أربعة أوجه قبل كل صلاة.. فإذا قرأت ورقتين قبل كل صلاة أو بعدها يكون المجموع في اليوم عشر ورقات -أي عشرين وجهًا- وهذا جزء كامل، وبهذه الطريقة سوف تختم القرآن الكريم كل شهر بسهولة تامة ولن يكلفك أي شيء.

ملاحظة:

من المعلوم أنه ينبغي على الإنسان أن يختم القرآن أكثر من مرة في الشهر، إذا لم يوجد ما يمنع ذلك، فإن وجد فهذه الطريقة للذين تمنعهم أشغالهم عن ذلك. جعلنا الله جميعًا من الذين يقودهم القرآن العظيم يوم القيامة إلى الجنة إنه سمع مجيب..

***

حملة القرآن ثلاثة...

* يروى عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: حملة القرآن ثلاثة نفر:

رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس.

ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة واستطال به على أهل بلده، وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله -عز وجل-.

ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليلته وهملت عيناه وتسربل بالخشوع وارتدى واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقي الله الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء.

***

فضل العلم...

* قال معاذ بن جبل: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به قومًا فيجعلهم قادة أئمة تقتفي آثارهم ويقتدى بفعالهم. والعلم حياة القلب من

الجهل ومصباح الأبصار من الظلمة وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، الفكر فيه يعدل الصيام ومذكراته القيام، به توصل الأرحام ويعرف الحلال من الحرام.

***

قف قليلاً.. وأقرأ وتدبر... ثم اعمل

* حكى أن رجلاً حاسب نفسه فحسب عمره فإذا.. هو ستون عامًا ثم حسب أيامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف وثلاثة مائة يوم.. فصاح يا ويلاه إذا كان لي في كل يوم ذنب فكيف ألقى الله بهذا العدد، منها.. فخر مغشيًا عليه فحركوه فإذا هو قد مات.

* قال عمر: عرفت الشر لا للشر.. ولكن لتوقيه، ومن لا يعرف الشر يقع فيه، كما قال:

ينقض الإسلام عروة عروة، من نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

***

وقفات على الطريق...

* روي عن الحسن البصري أن رجلاً قال له: إن فلانًا قد اغتابك، فبعث إليه طبقًا من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديت لي حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

***

وقال بعض الحكماء...

* إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث: إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن ضعفت عن نفع الناس.. فلا تضرهم، وإن ضعفت عن الصيام فلا تأكل لحوم الناس.

براءة الذمة...

* استفتي الحسن بن زياد في مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه فاستأجر مناديًا ينادي: إن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن بشيء فليرجع إليه.. ومكث أيامًا لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمه أنه قد أخطأ وأن الصوت كذا وكذا.

***

الأيام الخمسة...

يوم مفقود: وهو أمسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه.

يوم مشهود: وهو يومك الذي أنت فيه فتزود من الطاعات.

ويوم مورود: هو غدك الذي لا تدري أهو من أيامك أم لا؟

ويوم موعود: وهو آخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينيك.

ويوم محدود: وهو اليوم الآخر الذي لا انقضاء له فإما نعيم دائم وإما خلود في النار.

***

الحلم...

* قال الأصمعي: لا يكاد يجتمع عشرة إلا وفيهم فارس شجاع أو أكثر، ويجتمع ألف وليس فيهم حليم.

***

حياة القلب...

* قال أحد الصالحين: (يا عجبًا من الناس يبكون على من مات جسده، ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد).

***

وصايا...

* أوصى لقمان ابنه فقال: (يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء).

* أوصى الأشعث بن قيس بنيه، فقال: يا بني ذلوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم، ولتخف بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم، فإن لكل امرئ منكر تبعة، وإياكم وما يعتذر منه ويستحيا فإنما يعتذر من ذنب ويستحيا من قبيح، وأصلحوا أموالكم عند جفوة السلطان وتغير الزمان، وكفوا عند حاجة أو مسألة فإنه كفى بالرد منعًا، وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدرًا.

* أوصى حكيم ابنه فقال: يا بني إنك لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره، ولن تنجو مما تكره حتى تصير على كثير مما تحب، وقليل من الذل يدفع كثيرًا من الهوان.

***

أقوال مأثورة...

* ميدانكم الأول أنفسكم.. فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر.. وإن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز فجربوا معها الكفاح أولاً.

* إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله، فمتى يصل إلى مقصده.

* إذا أراد الله بعبد شرًا.. أغلق عنه باب العمل.. وفتح عليه باب الجدل.

***

هكذا كان السلف...

* يروي: أن أحد أصحاب أحمد بن حنبل قال له يومًا: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار، أي شيء تقول فيها: فقال: مثل أي شيء؟ قال يقولون:

إذا مـــــــا قـــــــــال لي ربي
أمـــــا اســــتحييت تعـــــصيني
وتخفـــي الـــذنب مـــن خلقـــي
وبالعــــــــصيان تــــــــأتيني

فقال أحمد: أعد علي: قال: فأعدت عليه فقام ودخل بيته ورد الباب، فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول: إذا ما قال لي ربي.

***

إياس بن معاوية....

قال سفيان بن حسين ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا. قال السند والهند والترك؟ قلت: لا قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك، و لم يسلم منك أخوك المسلم قال: فلم أعد بعدها.

***

لماذا نكره الموت...

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثًا فقال: ما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا؟ فقيل له: ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث إليه فجاء فقال سليمان: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ فقال له أبو حازم: وأي جفاء رأيت مني؟ فقال له: أتاني وجوه المدينة كلهم و لم تأتني، فقال: ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها، قال: صدق الشيخ يا أبا

حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم وخبرتم آخرتكم فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب؟ قال: صدقت يا أبا حازم، فكيف القدوم على الله تعالى؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله فرحًا مسرورًا وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه خائفًا محزونًا، فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عند الله، قال: يا أبا حازم، وأني أصيب تلك المعرفة من كتاب الله؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ [الأنفطار: ١٢-١٣].

قال يا أبا حازم فأين رحمة الله؟ قال: ﴿**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦]. قال: يا أبا حازم من أعقل الناس؟ قال: من تعلم الحكمة وعلمها الناس.

قال: فمن أحمق الناس؟ قال: من حط نفسه في هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره، قال: يا أبا حازم فما أسمع الدعاء؟ قال: دعاء المخبتين، قال: فما أزكى الصدقة؟ قال: جهد المقل، قال: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه، قال: أعفني من هذا، قال سليمان: نصيحة تلقيها، قال أبو حازم: إن ناسًا أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة المسلمين ولا إجماع من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم: فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا شيخ فقال أبو حازم: كذبت إن الله أخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا يكتمونه، فقال سليمان: يا أبا حازم، اصحبنا تصيب منا ونصيب منك، قال أعوذ بالله من ذلك قال: ولم؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات قال: فأشر عليّ؟ قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك قال: يا أبا حازم ادع لنا بخير؟ فقال: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير وإن

كان غير ذلك فخذ إلى الخير بناصيته، فقال: يا غلام هات مائة دينار ثم قال: خذ هذا يا أبا حازم. قال لا حاجة لي به؛ لي ولغيري في هذا المال أسوة، فإن واسيت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها، إني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي.

***

السر في كثرة أسماء يوم القيامة؟

يقول القرطبي: (وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه وهذا مهيع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعهن جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة).

***

اليوم الذي تقوم فيه الساعة

تقوم الساعة في يوم الجمعة ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه آدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**».

***

بعض الأدلة من القرآن والسنة النبوية التي تثبت وجود الجن..

الأدلة القرآنية:

١– قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [الأحقاف: ٢٩].

٢– قوله تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾ [الجن: ١].

٣- قوله تعالى: **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾** [الرحمن: ٣٣].

ومن السنة:

١- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإن لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»[1].

من أي شيء خلق كل من: الملائكة، الجن، آدم؟

الملائكة خلقت من نور، والجن خلقت من نار، وآدم خلق من الطين.

سكن الجن!

الجن يفضلون السكن في الأماكن الخالية من الإنس كالصحراوات ومنهم من يسكن المزابل والقمامات ومنهم من يسكن مع الإنس. ومنهم من يسكن الخلاء أي المرحاض. وقد ورد أحاديث صحيحة في ذلك منها قول الرسول ﷺ: «**إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**».

الأفضل...

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

ثم أهل مقام **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربع طرق فهم في ذلك أربعة أصناف نذكر:

الصنف الأول: قالوا إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته.

---

(1) رواه البخاري.

فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع وإن بعد كان أفضل.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال والاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته وإيثار ذلك على أواردك وخلوتك.

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المساجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه، والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه: واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله -تعالى- في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب الوقت ووظيفته ومقتضاه.

***

قصة كريم...

نقل في بعض المجاميع أن بعض الكرماء كان عربيدًا على أضيافه سيئ الخلق بهم، فبلغ ذلك بعض الأذكياء فقال: الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه كريم الأخلاق، وما أظن سوء أخلاقه إلا لسوء أدب الأضياف، ولا بد أن أتطفل عليه لأرى حقيقة أمره قال: فقصدته وسلمت عليه فقال: هل لك أن تكون ضيفي؟ قلت: نعم، فسار بين يدي إلى أن جاء إلى باب داره، فأذن لي فدخلت فأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسندًا فاستندت إليه، فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل، فلما فرغنا قدم طستًا وإبريقًا وأراد أن يسكب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك، وأراد الخروج من بين يدي بعد أن قدم نعلي فلم أرده عن ذلك، فلما أراد الرجوع قلت: يا سيدي أنشدك الله إلا فرَّجت عني كربة قال: وما هي؟ فأخبرته الخبر فقال: والله ما يحوجني لذلك إلا سوء أدبهم، يصل الضيف إلى داري فأجلسه في الصدر، فيأبى ذلك ثم أقدم إليه الطعام فلا أتحفه بشيء مستظرف إلا رده علي، ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند

الغسل فيحلف بالطلاق ما تفعل، ثم أريد أن أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الإنسان على نفسه حتى في بيته، فعند ذلك أشتمه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم:

لا ينبغـــــي للـــــضيف أن يعتـــــرض
إن كـــان ذا حـــزم وطبـــع لطيـــف
فــــالأمر للإنـــسان في بيتـــــه
إن شــــاء أن ينـــــصف أو يحيــــف

***

همس...

* قال أبو الحسن المدائني: لما حج المنصور مر بالمدينة، فقال للربيع الحاجب: علي بن جعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتله، فمطل به، ثم ألح عليه فحضر، فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه، همس جعفر بشفتيه، ثم تقرب وسلم، فقال: لا سلم الله عليك يا عدو الله، تعمل علي الغوائل في ملكي؟ قتلني الله إن لم أقتلك، قال: يا أمير المؤمنين، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه، أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت على إرث منهم، وأحق من تأسى بهم، فنكس أبو جعفر رأسه مليًا، وجعفر واقف، ثم رفع رأسه فقال: إلي أبا عبد الله، فأنت القريب القرابة، وذو الرحم الواشجة، السليم الناحية، القليل الغائلة، ثم صافحه بيمينه، وعانقه بشماله، وأجلسه معه على فراشه وانحرف له عن بعضه، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله، ثم قال: يا ربيع، عجل لأبي عبد الله كسوته وجائزته وإذنه.

قال الربيع: فلما حال الستر بيني وبينه أمسكت بثوبه، فقال: ما أرانا يا

ربيع إلا وقد حبسنا، فقلت: لا عليك! هذه مني لأمنه، فقال: هذه أيسر، سل حاجتك. فقلت له: إني منذ ثلاث أدفع عنك وأداري عليك، ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك، ثم رأيت الأمر انجلى عنك، وأنا خادم سلطان لا غنى لي عنه، فأحب منك أن تعلمنيه. قال: نعم.

قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بحفظك الذي لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمتها علي قل لك عنها شكري فلم تحرمني وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبري فلم تخذلني، بك أدرأ في نحره، وأستعيذ بخيرك من شره، فإنك على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

***

كلمات منجيات...

وقال المدائني: لما قام يزيد بن راشد خطيبًا، وكان فيمن دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد، فنذر سليمان قطع لسانه، فلما أفضت الخلافة إليه، دخل عليه يزيد بن راشد، فجلس على طرف البساط مفكرًا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كن كنبي الله ﷺ: ابتلي فصبر، وأعطي فشكر، وقدر فغفر، قال: ومن أنت؟ قال: يزيد بن راشد، فعفا عنه.

***

جواب مسكت...

* وولى يوسف بن عمر الثقفي صاحب العراق أعرابيًا على عمل له، فأصاب عليه خيانة فعزله، قدم عليه، قال له: يا عدو الله، أكلت مال الله، قال الأعرابي: فلما من آكل إذا لم آكل مال الله؟ لقد راودت إبليس أن

يعطيني فلسًا واحدًا فما فعل، فضحك منه وخلى سبيله.

***

طرفة...

* أخذ الحجاج أعرابيًا لصًا بالمدينة فأمر بضربه، فلما قرعهُ بسوط قال: يا رب شكرًا، حتى ضربه سبعمائة سوط، فلقيه أشعب، فقال له: تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: لماذا؟ قال: لكثرة شكرك، إن الله تعالى يقول: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧] قال وهذا في القرآن؟

قال: نعم، فقال الأعرابي:

يـــــا رب لا شـــــكر فـــــلا تـــــزدني
أســــأت في شـــــكري فـــــاعف عــــني
باعــــد ثـــــواب الــــشاكرين مــــني

***

* خطب ثلاثة إخوة إلى عمهم بناته، فقال: مرحبًا بكم، لا أذم عهدكم، ولا أستطيع ردكم، خبروني عن مكارم الأخلاق، فقال الأكبر: الصون للعرض، والجزاء بالقرض، وقال الأوسط: النهوض بالثقل، والأخذ بالفضل، وقال الأصغر: الوفاء بالعهد، والإنجاز للوعد، قال أحسنتم في الجواب، ووفقتم إلى الصواب.

***

* وقال الحسن: مكارم الأخلاق للمؤمن، قوة ولين، وحزم ودين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء للحق، وبر في استقامة.

***

* وسأل ابن عباس عن صعصعة بن صوحان: ما السؤدد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذلك النوال، وكف المرء نفسه عن السؤال، والتودد للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك في الحق شرعًا. أي سواء.

***

* ودعا أعرابي فقال: اللهم إنك أمرتنا أن نعفوا عمن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

***

* واستغاث أعرابي فقال: اللهم، إنك حبست عنا مطر السماء، فذاب الشحم، وذهب اللحم، ورق العظم، فاحم أنين الآنة، وحنين الحانة، اللهم ارحم تحريها في مراتعها وأنينها في مرابضها.

***

* وقال أعرابي: أعوذ بك من سقم، وعداوة ذي رحم ودعواه، ومن فاجر وجدواه، وعمل لا ترضاه.

***

قال الأصمعي: ذكر أعرابي قومًا فقال: أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء، ودبغت وجوههم باللؤم، لباسهم في الدنيا الملامة، وزادهم إلى الآخرة الندامة.

***

* وقال أعرابي يهجو أحد الولاة:

لما رآنا فر بوابه　　　واسند في غير يد بابه

وعنده من مقته حاجب　　　يحجبه إن غاب حجابه

***

* وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا يقول: لقد صغر فلانًا في عيني عظم الدنيا في عينه، وكأنما يرى السائل إذا أتاه ملك الموت إذا رآه.

***

* وقال أعرابي لرجل: أنت والله ممن إذا سأل ألحف، وإذا سئل سوف، وإذا حدث حلف، وإذا وعد أخلف، تنظر نظر الحسود، وتعرض إعراض حقود.

***

* وقال أعرابي في امرأة تزوجها وقد خطبها شابة، ثم دسوا له عجوزًا:

عجوز ترجـى أن تكـون فتيـة وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر

تدس إلى العطـار سـلعة أهلـها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

تزوجتـها قبـل المحـاق بليلـة فكان محاقًا كلـه ذلـك الـشهر

وما غـرني إلا خـضاب بكفهـا وكحل بعينيها وأثوابها الـصفر

***

* وقال أعرابي: ليت فلانًا أقالني من حسن ظني به، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ، ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم، وبالذم إلى من يستوجب المدح.

***

* وقال أعرابي يهجو رجلاً:

لمـــا رأيتـــك لا فـــاجرًا قويًـــا ولا أنـــت بالزاهـــد
ولا أنـــت بالرجـــل المتقـــي ولا أنـــت بالرجـــل العابـــد
عرضتك في السوق سوق الرقيـق وناديت هـــل فيـــك مـــن زائـــد
على رجـــل خـــان ود الـــصديق كفـــور بأنعمـــه جاحـــد
فمـــا جـــاءني رجـــل واحـــد يزيـــد علـــى درهـــم واحـــد
ســـوى رجـــل زادني ذائقًـــا ولم يـــك في ذاك بالجاهـــد
فبعتـــك منـــه بـــلا شـــاهد مخافـــة ردك بالـــشاهد
وأبـــت إلى مـــنزلي غانمًـــا وحـــل الـــبلاء علـــى الناقـــد

***

احـــذر الأحمـــق أن تـــصحبه إنمـــا الأحمـــق كـــالثوب الخلـــق
كلمـــا رقعتـــه مـــن جانـــب زعزعته الـــريح يومًـــا فـــانخرق
أو كـــصدع في زجـــاج فـــاحش هل ترى صدع الزجاج يلتـــصق؟

* **قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (الفوائد):**

إذا طلع نجم الهمة في ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها.

* وقال: نور العقل يضيء في ليل الهوى، فتلوح جادة الصواب، فيتلمح البصير في ذلك عواقب الأمور.

وقال: القواطع محن يتبين بها الصادق من الكاذب، فإذا خضتها انقلبت أعوانًا توصلك إلى المقصود.

وقال: الهمة العلية من استعد صاحبها للقاء الحبيب.

وقال: إذا جن الليل تغالب النوم والسهر، فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة، والكسل والتواني في كتيبة الغفلة، فإذا حمل العزم على الميمنة انهزمت جنود التفريط، فما يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهمان، وبردت الغنيمة لأهلها.

وقال: سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة، النجائب في الأول، وحاملات الزاد في الأخير.

وقال: بينك وبين الفائزين جبل الهوى، نزلوا بين يديه، ونزلت خلفه، فاطو فضل منزل تلحق بالقوم.

وقال: إنما يقطع السفر، ويصل المسافر بلزوم الجادة، وسير الليل.

فإذا حاد المسافر عن الطريق، ونام كله فمتى يصل إلى مقصده.

***

* قال الفقيه أبو الليث السمرقندي -رحمه الله تعالى-: حدثنا عبد الله بن حبان البخاري، حدثنا أبو الجعفر المنادي البغدادي، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن أشعث الحراني، عن أبي الفرج الأزدي، أن عيسى بن مريم

عليهما السلام مر بقرية، وفي تلك القرية قصار، فقال أهل القرية: يا عيسى إن هذا القصار يمزق علينا ثيابنا ويحبسها فادع الله أن لا يرده برزمته، فقال عيسى -عليه السلام-: «اللهم لا ترده برزمته».

قال: فذهب القصار ليقصر الثياب، ومعه ثلاثة أرغفة فجاءه عابد كان يتعبد في تلك الجبل، وسلم على القصار وقال: هل عندك خبز تطعمني أو ترييني حتى أنظر إليه، وأشم رائحته، فإني لم آكل الخبز منذ كذا وكذا فأطعمه رغيفًا فقال يا قصار: غفر الله ذنبك وطهر قلبك. فأعطاه الثاني فقال: يا قصار غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: فأطعمه الثالث: قال: يا قصار، بنى الله لك قصرًا في الجنة، فرجع القصار من العشي سالمًا. فقال أهل القرية: يا عيسى هذا القصار قد رجع. فقال: ادعوه. فلما أتاه قال: يا قصار أخبرني بما عملت اليوم. فقال: أتاني سيار من سيار تلك الجبال فاستطعمني فأطعمته ثلاثة أرغفة فبكل رغيف أطعمته دعا لي بدعوات، فقال عيسى -عليه السلام والصلاة-: هات رزمتك حتى أنظر إليها فأعطاه ففتحها فإذا فيه حية سوداء. ملجمة بلجام من حديد، فقال عيسى -عليه السلام-: يا أسود. قال: لبيك يا نبي الله.

قال: ألست قد بعثت إلى هذا؟ قال: نعم، ولكن جاء سيار من تلك الجبال. فاستطعمه فبكل رغيف أطعمه دعا له بدعوة، وملك قائم يقول: آمين، فبعث الله تعالى إلي ملكًا من ملائكة فألجمني بلجام من حديد، فقال عيسى -عليه السلام-: يا قصار استأنف العمل فقد غفر الله لك ببركة صدقتك عليه[1].

---

(1) تنبيه الغافلين: (٢٥٠).

* قال ابن الجوزي -رحمه الله- (من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دني).

* وقال إبراهيم طوقان:

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل
وانهض ولا تشك الزمان فما شكا إلا الكسول
وأسلك بهمتك السبيل ولا تقل كيف السبيل
ما ضل ذو أمل سعى يومًا وحكمته الدليل
كلا ولا خاب امرؤ يومًا ومقصده نبيل[1]

***

* قال الثعالبي: ومن أحسن ما قيل في علو الهمة قول ابن طباطبا العلوي:

له همة إن قست فرط علوها حسبت الثريا في قرار قليب

* وقال ابن عبد القوي:

فلا تشتغل إلا بما يكسب العلا ولا ترض للنفس النفيسة بالردي

***

---

(1) ديوان إبراهيم طوقان (٦٥، ٦٦).

ثمرة ترك الحرام والنصح للمؤمنين...

* حكي عن محمد بن المنكدر -رحمه الله- أنه كان له شقاق -جنس من الثياب- بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة. فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة.

فلما حضر ابن المنكدر، وعلم بذلك، صار يطلب المشتري طول النهار حتى وجده، وقال له:

إن الغلام غلط، فباعك خمسة بعشرة.

فقال المشتري: يا هذا، قد رضيت.

فقال ابن المنكدر: إن رضيت أنت؛ فأنا لا أرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال:

إما أن تأخذ شقة من العشريات، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك.

فقال: أعطني خمسة.

فدفعها إليه، فانصرف الأعرابي وهو يسأل، ويقول:

من هذا الشيخ؟

فقيل له: هذا محمد بن المنكدر.

فقال الأعرابي: لا إله إلا الله، هذا الذي نستقي به البوادي إذا قحطنا[1].

***

---

(1) الجرداني (ص٧٠).

موعظة في غير محلها...

خطب المنصور يومًا فاعترضه رجل وهو يثني على الله -عز وجل-، فقال: يا أمير المؤمنين أذكر من أنت ذاكره، واتق الله فيما تأتيه وتذره، فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال: أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله -عز وجل- فيه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**﴾ [البقرة: ٢٠٦] أو أن أكون جبارًا عصيًا، أيها الناس! إن الموعظة علينا نزلت، ومن عندنا نبتت.

ثم قال للرجل: ما أظنك في مقالتك هذه تريد وجه الله، وإنما أردت أن يقال عنك وعظ أمير المؤمنين، أيها الناس لا يغرنكم هذا فتفعلوا كفعله، ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكملها، ثم قال لمن هو عنده: أعرض عليه الدنيا فإن قبلها فأعلمني، وإن ردها فأعلمني، فمازال به الرجل الذي هو عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا فولاه الحسبة والمظالم، وأدخله على الخليفة في بزة حسنة، وثياب شارة وهيئة دنيوية، فقال له الخليفة: ويحك! لو كنت محقًا مريدًا وجه الله بما قلت على رؤوس الناس لما قبلت شيئًا مما أرى، ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظت أمير المؤمنين، وخرجت عليه، ثم أمر به فضربت عنقه.

***

الرجوع للحق فضيلة...

حضر عند المنصور مبارك بن فضالة يومًا وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر النطع والسيف، فقال له مبارك: سمعت الحسين يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا**» فأمر بالعفو عن ذلك، ثم أخذ المنصور يعد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنعه.

وقال الأصمعي: أتى المنصور برجل ليعاقبه، فقال: يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والعفو فضل، ونعوذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وأدنى القسمين، دون أرفع الدرجتين، قال: فعفا عنه.

***

الدنيا قصيرة...

رأى المنصور في قصره (الخلد) الذي بناه وتأنق فيه منامًا أفزعه، فقال للربيع! لقد رأيت منامًا هالني، رأيت قائلاً وقف في باب هذا القصر وهو يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله
وأوحش منه أهله ومنازله
وصار رئيس القصر من بعد بهجة
إلى حدث يبنى عليه جنادله

فما أقام في (الخلد) إلا أقل من سنه حتى مرض في طريق الحج. ودخل مكة مدنفًا ثقيلاً وكانت وفاته.

***

احذر في كلامك ثلاثًا...

سأل رجل عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك: احذر في كلامك ثلاثًا.

إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعى إليّ بأحد من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جوري وظلمي، وإن شئت أقلتك. فقال الرجل: أقلني فأقاله.

وكان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق: أعفني من أربع وقل ما شئت.

لا تطرني، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، ولا تحملني على الرعية، فإنهم إلى رأفتي ومعدلتي أحوج.

***

لو كان كلام يكتب بماء الذهب لكتب هذا الكلام...

قال الأصمعي عن أبيه عن جده: خطب عبد الملك يومًا خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاءً شديدًا ثم قال: يا رب إن ذنوبي عظيمة، وإن قليل عفوك أعظم منها، واللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي. قال: فبلغ ذلك الحسن فبكى، وقال: لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام.

***

ذكر الموت فأمر برفع السماط..

قال مسهر الدمشقي: وضع سماط عبد الملك يومًا بين يديه فقال لحاجبه: ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: مات يا أمير المؤمنين، قال: فلأبيه عبد الله بن خالد بن أسيد، قال: مات، قال: فلخالد بن يزيد بن معاوية، قال: مات، قال: فلفلان وفلان حتى عد أقوامًا ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا فأمر برفع السماط وانشأ يقول:

ذهبت لذتي وأنقضت أيامهم
وغبرت بعدهم ولست بخالد

***

رؤيا...

عن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: حدثني جماعة من أهل الحضرة أن رجلاً عطارًا بالكرخ، كان مشهورًا بالستر، وارتكبه دين، فقام عن دكانه ولزم مترله وأقبل على الدعاء والصلاة ليالي كثيرة، فلما كانت ليلة الجمعة صلى صلاته ودعا ونام، قال: فرأيت رسول الله ﷺ وهو

يقول: أقصد علي بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك.

قال: وكان على قيمة ستمائة دينارًا فلما كان من غد قلت: قد قال النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل بي**». فلم أقصد الوزير؟ فجئت الباب فمنعت من الوصول إليه، فجلست إلى أن ضاق صدري وهممت بالانصراف فخرج صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة فأخبرته فقال: يا هذا! الوزير في طلبك منذ السحر وإلى الآن وقد سأل عنك فما عرفك أحد، والرسل مبثوثة في طلبك فكن مكانك قال: ومضى ودخل فلما كان بأسرع من أن دعوني فدخلت إلى الوزير فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: فلان ابن العطار، قال: من أهل الكرخ؟ قلت: نعم. قال: يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إياي فوالله ما برحت بعيش منذ البارحة. جاءني رسول الله ﷺ في منامي فقال: أعط فلان بن فلان العطار من الكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه، وكنت اليوم طول نهاري في طلبك وما عرفك أحد، ثم قال: هاتوا ألف دينار فحملوها. فقال: هذه أربعمائة دينار خذها امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وستمائة هدية مني لك، فقلت: أيها الوزير. ما أحب أن أزاد على عطية رسول الله ﷺ شيئًا فإني أرجو البركة فيه لا فيما عداه، فبكى علي بن عيسى وقال: هذا هو اليقين، خذ ما بدا لك، فأخذت أربعمائة دينار فانصرفت فقصصت قصتي على صديق لي وأريته الدنانير وسألته أن يحضر غرمائي ويتوسط بيني وبينهم ففعل، فقالوا: نحن نؤخره ثلاث سنين بالمال، فليفتح دكانه، فقلت: لا بل يأخذون مني الثلث من أموالهم وكانت ستمائة فأعطيت كل من له شيء ثلث ماله فكان الذي فرقت بينهم مائتي دينار وفتحت دكاني وأدرت المائتين الباقية في الدكان، فما حال الحول إلا ومعي

ألف دينار، فقضيت ديني كله وما زالت حالتي تزيد وتصلح.

***

إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأدياننا...

دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشتري منه ثوبًا فرفع في السوم، فقال له جاره: ويحك هذا ابن محيريز ضع له، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال: اذهب بنا، إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأدياننا، فذهب وتركه.

***

لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين..

ورأى ابن محيريز على بعض الأمراء حلة من حرير فأنكر عليه، فقال: إنما ألبسها من أجل هؤلاء وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين- فقال له ابن محيريز: لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين.

***

ما رئي ضاحكًا حتى صار إلى الله...

قال فضيل بن عياض: بلغني عن طلحة أنه ضحك يومًا فوثب على نفسه وقال: لم تضحك، إنما يضحك من قطع الأهوال، وجاز الصراط، ثم قال: آليت أن لا أفتر ضاحكًا حتى أعلم بما تقع الواقعة، فما رئي ضاحكًا حتى صار إلى الله، كما حديث أن طاووسًا كره الأنين، فما سمع يئن حتى مات.

***

طلب من المهدي إعفاءه من القضاء لأن قلبه مال إلى أحد المتخاصمين:

دخل يومًا على المهدي في وقت الظهيرة فقال: يا أمير المؤمنين أعفني، فقال له المهدي: و لم أعفيك؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء؟ فقال له: لا ولكن كان بين اثنين خصومة عندي، فعمد أحدهما إلى رطب السكر

-وكأنه سمع أني أحبه- فأهدى إليَّ منه طبقًا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين فرددته عليه، فلما أصبحنا وجلسنا إلى الحكومة لم يستويا عندي في قلبي ولا نظري، بل مال قلبي إلى المهدي منهما، هذا مع أني لم أقبل منه ما أهداه فكيف لو قبلت منه؟ فأعفني عفا الله عنك- فأعفاه.

قال الأصمعي: كنت عند الرشيد يومًا وعنده (عافية) وقد أحضره لأن قومًا استعدوا عليه إلى الرشيد، فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجيب عما يسأله وطال المجلس، فعطس الخليفة فشمته الناس ولم يشمته (عافية)، فقال له الرشيد لم لَم تشمتني مع الناس؟ فقال: لأنك لم تحمد الله، واحتج بالحديث في ذلك، فقال له الرشيد: ارجع لعملك فوالله ما كنت لتفعل ما قيل عنك، وأنت لم تسامحني في عطسة لم أحمد الله فيها. ثم رده ردًا جميلاً إلى ولايته.

***

وجد جسمه صحيحًا بعد قتله بسنتين...

عن علي بن أمية قال: لما كان من دخول الزنج ما كان وقتلوا بها من قتلوا وذلك في شوال سنة (سبع وخمسين ومائتين) بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي المسجد بأسيافهم، والرياشي قد صلى الضحى فضربوه بالأسياف وقالوا: هات المال، فجعل الرياشي يقول: أي مال؟ حتى مات، فلما خرج الزنج عن البصرة دخلو مسجده، فإذا به ملقى، مستقبل القبلة كأنما وجه إليها، وإذا شملة تحركها الريح، ثم تمزقت، وإذا جميع خلقه صحيح سوى، لم ينشق له بطن ولم يتغير له حال، إلا أن جلده قد لصق بأعظمه، ويبس، وذلك بعد قتله بسنتين -رحمه الله-.

***

استعن بهذه على زمانك...

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وعمر بن عبد العزيز عامل عليها، فصلى بالناس الظهر، ثم فتح باب المقصورة، واستند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم، فقال لعمر: من هذا؟ ما رأيت أحسن سمتًا منه، قال: صفوان، قال: يا غلام كيس فيه خمسمائة دينار فأتاه به، فقال لخادمه: اذهب بها إلى ذلك القائم، فأتى حتى جلس إلى صفوان وهو يصلي، ثم سلم فأقبل عليه، قال: ما حاجتك؟ قال: يقول أمير المؤمنين: استعن بهذه على زمانك وعيالك، فقال صفوان: لست الذي أرسلت إليه، قال: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى، قال: فإليك أرسلت، قال: اذهب فاستثبت فولَّى الغلام، وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم ير بها حتى خرج سليمان من المدينة(١).

***

إمساك بمعروف...

أبقى سعيد بن إسماعيل على زوجته خمسة عشر عامًا رغم أنها عوراء عرجاء مشوهة الخلق.

قالت مريم امرأته: صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها، فقلت: يا أبا عثمان أي عملك أرجى عندك؟ فقال: يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يريدونني على الزواج فأمتنع، جاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبًا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك أن تتزوج بي! قلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط في موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجها مني ففرح بذلك وأحضر الشهود

---

(1) سير أعلام النبلاء (٣٦٨٥).

فتزوجت بها فلما دخلت بها، وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي! وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك فأزيدها برًا وإكرامًا إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجالس إيثارًا لرضاها وحفظًا لقلبها، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة وكأني في بعض أوقاتي على الجمر، وأنا لا أبدي لها شيئًا من ذلك إلى أن ماتت! فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها جهتي.

***

تمنى أن يكون مثل الطبراني...

قال أبو الحسن بن فارس اللغوي: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة الطبراني والجعابي بحضرتي، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه.

فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هاته، فقال: حدثنا أبو خليفة، حدثنا سليمان بن أيوب وحدث بالحديث، فقال الطبراني: أنبأنا سليمان بن أيوب، ومني سمع أبو خليفة فاسمع مني حتى يعلو إسنادك، فإنك تروي عن أبي خليفة عني، فخجل الجعابي، وغلبه الطبراني، فقال ابن العميد: فوددت في مكاني أن الوزارة والرياسة ليتها لم تكن لي، وكنت الطبراني، وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث[1].

***

(1) المنهج الأحمد: (٧٦/٢).

شريح القاضي...

عن الشعبي قال: اشترى عمر فرسًا من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك فقال: فاجعل بيني وبينك حكمًا، قال الرجل: نعم! شريح، قال عمر: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي، قال: فانطلقنا إليه فقصا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذت أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها، فإنه لأول يوم عرفته يومئذ.

حكي أن عليًا دخل على شريح مع خصم له ذمي، فقام له شريح، فقال له عليٌّ كرم الله وجهه: هذا أول جورك، فقال: لو كان خصمك مسلمًا لما قمت، ويقال: إنه قضي على علي، وذلك أنه ادعى على الذمي درعًا سقطت منه، فقال للذمي: ما تقول؟ فقال: مالي وبيدي، فقال علي كرم الله وجهه، ألك بينه أنها سقطت منك؟ قال: نعم فأحضر كلاً من الحسن وعبده قنبر، فقال: قبلت شهادة قنبر، ورددت شهادة الحسن، فقال علي ثكلتك أمك أما بلغك أن النبي ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» فقال: اللهم نعم، غير أني لا أجيز شهادة الولد بوالده، فقال لليهودي: خذها فليس عندي غيرها، فقال اليهودي: لكني أشهد أنها لك، وأن دينكم هو الحق، قاضي المسلمين حكم على أمير المؤمنين ويرضى، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فدفع علي الدرع له فرحًا بإسلامه.

***

خاف من صاحب الدين...

حدث محمد بن علي بن عبد الله الحداد عن شيخ سماه قال: حضرت يوم الجمعة مسجد الجامع بمدينة المنصور، فرأيت رجلاً بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة، لم يزل ينتقل مذ دخل المسجد إلى قرب قيام الليل، ثم جلس فغلبتني هيبته، ودخلت قلبي محبته، ثم أقيمت الصلاة، فلم يصل مع الناس الجمعة فكبر علي ذلك وتعجبت من حاله وغاظني فعله، فلما قضيت الصلاة، تقدمت إليه وقلت: أيها الرجل ما رأيت أعجب من مرك أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها، فقال لي: يا هذا إن لي عدوًا، وبي علة منعتني الصلاة! قلت! وما هي؟

قال: أنا رجل علي دين اختفيت في مترلي مدة بسببه ثم حضرت الجامع للصلاة فقبل أن تقام التفت فرأيت صاحبي الذي له الدين علي ورآني، فمن خوفي أحدثت في ثيابي وهذا عذري، فأسألك بالله إلا سترت علي وكتمت أمري، فقلت له: ومن الذي له عليك الدين؟. فقال: دعلج بن أحمد وكان إلى جانبه صاحبه لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه فسمع هذا القول ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة فقال له دعلج: امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي وأجلسه في مترلي حتى أنصرف من الجامع ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إلى مترله أمر بالطعام فاحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا عليه خمسة آلاف درهم فقال له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقده، فقال له الرجل: لا، فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء ثم أحضر الميزان ووزن له خمسة آلاف درهم، وقال له: أما الحساب الأول فقد أحللناك مما بيننا وبينك فيه، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم

وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في المسجد الجامع[١].

***

اتعظ من الراعي...

حج روح بن زنباع مرة فنزل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان، ثم وضعت بين يديه فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء، فدعاه روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال: إني صائم، فقال له روح: في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يا راعي؟ فقال الراعي: أفأغبن أيامي من أجل طعامك؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكانًا فنزله وترك روح بن زنباع، فقال روح بن زنباع:

لقد ضننت بأيامك يا راعي

إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحًا بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفعت، وقال: انظروا هل تجدون لها آكلاً من هذه الأعراب أو الرعاة؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي بمجامع قلبه وصغرت إليه نفسه.

***

اشترى حوراء بأربعة آلاف ختمة...

قال أبو زرعة: قال أبو يحيى الناقد: اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء، وهي تقول: وفيت بعهدك، فها أنا التي قد اشتريتني!

فيقال: إنه مات[٢].

---

(1) المنتظم (١١/٧).
(2) المنتظم (٨/٦).

جعفر بن حرب:

سمع رجلاً يقرأ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ فاتعظ بها.

اجتاز يومًا راكبًا في موكب له عظيم ونعمته على غاية الوفور، ومترلته بحالها في نهاية الجلالة فسمع رجلاً يقرأ: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾** [الحديد: ١٦] فصاح: اللهم بلى، يكررها دفعات وبكى ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه التي كانت عليه ودخل دجلة واستتر بالماء، ولم يخرج منه حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه تصدق بالباقي، فاجتاز رجل فرآن في الماء قائمًا وسمع بخبره، فوهب له قميصًا ومئزرًا فاستتر بهما وخرج وانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات.

***

جواب مسكت...

سأل رجل إياسًا عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فأخبرني عن الماء، فقال حلال قال: فالكسور، قال: حلال، قال: فالتمر، قال: حلال، قال: فما باله إذا اجتمع حرم؟ فقال إياس: أرأيتك لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التبن؟ قال: لا توجعني، قال: فهذه الغرفة من الماء؟ قال: لا توجعني شيئًا، قال: أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينًا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أيوجعك؟ قال: إي: والله وتقتلني، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت.

***

قاضيان في النار وقاضي في الجنة...!

قال المدائني: ولي عمر بن عبد العزيز عدي بن أرطأة على البصرة نائبًا، وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بين ربيعة الجوشني، فأيهما كان أفقه فليويه القضاء، فقال إياس: وهو يريد أن لا يتولى: أيها الرجل سل فقيهي البصرة الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا يأتيهما، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به -يعني القاسم- لأنه كان يأتيهما، فقال القاسم لعدي: والله الذي لا إله إلا هو إن إياسًا أفضل مني وأفقه مني، وأعلم بالقضاء، فإن كنت صادقًا فوله، وإن كنت كاذبًا فما ينبغي أن تولي كاذبًا القضاء، فقال إياس: هذا رجل أوقف على شفير جهنم فافتدى منها بيمين كاذبة يستغفر الله، فقال عدي: أما إذا فطنت إلى هذا فقد وليتك القضاء فمكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم، وإذا تبين له الحكم حكم به، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستعفاه القضاء، فولى عدي بعده الحسن البصري.

قالوا: فلما تولى القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب: لقد رموها بحجرها، وجاء الحسن وابن سيرين فسلما عليه، فبكى إياس وذكر الحديث: «**القضاة ثلاث: قاضيان في النار وواحد في الجنة**» فقال الحسن: ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ**﴾ [الأنبياء: ٧٨] إلى قوله: ﴿**وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ قالوا: ثم جلس للناس في المسجد، واجتمع عليه الناس للخصومات، ثم قام حتى فصل سبعين قضية، حتى كان يشبه بشريح القاضي.

قال إياس: إني لأكلم الناس بنصف عقلي، فإذا اختصم إلي اثنان جمعت لهما عقلي كله.

قال له رجل: إنك لتعجب برأيك، فقال: لولا ذلك لم أقض به.

قال له الآخر: إن فيك خصالاً لا تعجبني، فقال: ما هي؟ فقال: تحكم قبل أن تفهم، ولا تجالس كل أحد، وتلبس الثياب الغليظة، فقال له: أيها أكثر الثلاثة أو الاثنان؟ قال: الثلاثة: فقال: ما أسرع ما فهمت وأجبت فقال: أو يجهل هذا أحد؟ فقال: وكذلك ما أحكم أنا به، وأما مجالستي لكل أحد فلأن أجلس مع من يعرف ليس قدري أحب إلي من أن أجلس مع من لا يعرف لي قدري، وأما الثياب الغلاظ، فأنا ألبس منها ما يقيني لا ما أقيه أنا.

وتحاكم إليه اثنان فادعى أحدهما عند الآخر مالاً، وجحده الآخر، فقال إياس للمودع: أين أودعته قال: عند شجرة في بستان، فقال: انطلق إليها فقف عندها لعلك تتذكر، وفي رواية أنه قال له: هل تستطيع أن تذهب إليها فتأتي بورق منها؟ قال: نعم! قال: فانطلق، وجلس الآخر فجعل إياس يحكم بين الناس ويلاحظه، ثم استدعاه فقال له: أوصل صاحبك بعد إلى المكان؟ فقال: لا بعد أصلحكم الله، فقال له: قم يا عدو الله فأد إليه حقه، وإلا جعلتك نكالاً، وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديعته بكمالها.

وتحاكم إليه اثنان في جارية فادعى المشتري أنها ضعيفة العقل، فقال لها إياس: أي رجليك أطول؟ فقالت: هذه، فقال لها: أتذكرين ليلة ولدت؟ فقالت: نعم، فقال للبائع: رد، رد.

وروى ابن عساكر أن إياسًا سمع صوت امرأة من بيتها فقال: هذه امرأة حامل بصبي، فلما ولدت، ولدت كما قال، فسئل بم عرفت ذلك؟ قال: سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل، وفي صوتها ضحل فعلمت أنه غلام(1).

***

(1) البداية والنهاية (١٠/٣٠٣-٣٠٦)، تاريخ بغداد (٥/١٧٦-١٧٨).

إياس الذكي...

قال أبو عبيدة وغيره: تحاكم إياس وهو صبي شاب، وشيخ، إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق فقال له القاضي: إنه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام، فقال إياس: إن كان كبيرًا فالحق أكبر منه، فقال له القاضي: اسكت، فقال: ومن يتكلم بحجتي إذا سكت؟ فقال القاضي: ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم، فقال إياس: أشهد أن لا إله إلا الله، زاد غيره، فقال القاضي: ما أظنك إلا ظالمًا له، فقال: ما على ظن القاضي خرجت من منزلي، فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره، فقال: اقض حاجته، وأخرجه الساعة من دمشق؛ لا يفسد علي الناس.

***

* قال العجلي: دخل على إياس ثلاث نسوة فلما رآهن قال: أما إحداهن فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب، فقيل له: بم علمت هذا؟ فقال: أما المرضع فكلما قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فكلما دخلت نظرت، ورمت بعينها.

***

ذهب عينه من كثرة الصوم...

كان الأسود بن يزيد يصوم الدهر، وقد ذهبت عينه من كثرة الصوم، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمرة، وكان يهل من الكوفة، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: مالي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أنبئت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو

عنه فلا يزال مستحيًا منه.

***

أمر له بمائة ناقة دية الكلب...

قال الكلبي: خرج أسماء بن خاجرة في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل في رياض مشعبة، وهناك رجل من بني عبس نازل، فلما رأى قباب أسماء وخيامه قوض خيامه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنك؟ فقال: لي كلب هو أحب إلي من ولدي، وأخاف أن يوذيكم فيقتله بعض غلمانكم، فقال له أسماء: أقم وأنا ضامن كلبك، ثم قال لغلمانه: إذا رأيتم كلبه قد ولغ في قدوري وقصاعي فلا تهيجوه، وأقام على ذلك مدة ثم ارتحل أسماء ونزل في الروضة رجل من بني أسد، وجاء الكلب على عادته فضربه الأسدي فقتله، فجاء العبسي إلى أسماء فقال له: أنت قتلت كلبي، قال له: وكيف؟ قال: عودته عادة ذهب يرومها من غيرك فقتل، فأمر بمائة ناقة دية الكلب.

***

رأى رسول الله ﷺ في المنام...

حدث إسماعيل بن أحمد أنه رأى النبي ﷺ في النوم كأنه مريض وقد مد رجله فدخلت فجعلت أقبل أخمص رجليه وأمر وجهي عليهما، فحكيت هذا المنام لأبي بكر بن الخاضبة، فقال: أبشر أبا القاسم بطول البقاء وبانتشار الرواية عنك لأحاديث رسول الله، فإن تقبيل رجليه اتباع أثره، وأما مرض النبي ﷺ فوهن يحدث في الإسلام، فما أتى على هذا إلا قليل حتى وصل الخبر أن الإفرنج استولت على بيت المقدس.

***

إن ربك لبالمرصاد...

روى ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يومًا نائمًا وقت القائلة ونحن حول سريره، فاستيقظ مذعورًا ثم صرخ بنا فجئنا إليه، فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة، فأول سفينة تجدوها فارغة منحدرة فأتوني بملاحها وأحتفظوا بالسفينة، فذهبنا سراعًا، فوجدنا ملاحًا في سميرية فارغة منحدرًا فأتينا به الخليفة، فلما رأى الملاح الخليفة كاد أن يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج، فقال له الخليفة: ويحك يا معلون، اصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك، قال: فتلعثم ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحرًا في مشرعتي الفلانية، فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر، فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلي والقماش وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب به إلى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني، فقال: وأين حليها؟ فقال: في صدر السفينة تحت البواري، فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلي فجيء به، فإذا هو حلي كثير يساوي أموالاً كثيرة، فأمر الخليفة بتغريق الملاح في المكان الذي غرق فيه المرأة، وأمر أن ينادي على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة، فنادى بذلك ثلاثة أيام في أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلي وغيره مما كان للمرأة، ولم يذهب منه شيء، فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت في نومي تلك الساعة شيخًا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي: يا أحمد يا أحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التي قتلها

اليوم وسلبها، فأقم عليه الحد، وكان ما شاهدتم.

***

ضرب الأسد بالسيف فأطار يده وهامته...

قال جعيف السمرقندي الحاجب: كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري، إذ خرج علينا أسد فقصد قصدنا فقال لي المعتضد: يا جعيف أفيك خير اليوم؟ قلت: لا والله قال: ولا أن تمسك فرسي وأنزل أنا؟ فقلت: بلى، قال: فترل عن فرسه وغرز أطراف ثيابه في منطقته واستل سيفه ورمى برقابه ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد عليه فضربه بالسيف فأطار يده، فاشتغل الأسد بيده، فضربه ثانية على هامته ففلقها، فخر الأسد صريعًا فدنا منه فمسح سيفه في صوفه، ثم أقبل إليّ فأغمد سيفه في قرابه، ثم ركب فرسه فذهبنا إلى العسكر، قال وصحبته إلى أن مات فما سمعته ذكر لأحد، فما أدري من أي شيء أعجب؟ من شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد؟ أم من عدم عتبه عليّ حيث ضننت بنفسي عليه؟ والله ما عاتبني في ذلك قط.

***

ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت...

ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير، فماطلني، ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطالبه حجبني عنه ويأمر غلمانه يؤذونني، فاشتكيته إلى الوزير، فلم يفد ذلك شيئًا، وإلى أولياء الأمر من الدولة، فلم يقطعوا منه شيئًا، وما زاده ذلك إلا منعًا وجحودًا، فأيست من المال الذي عليه، ودخلني هم من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من اشتكي إذ

قال ليس رجل: ألا تأتي فلانًا الخياط -أمام المسجد هناك- فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع وأخوف عنده من جميع ما اشتكيت إليه، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجًا.

قال: فقصدته غير محتفل في أمره فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم، فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل وإلا أذنت، فتغير لون الأمير ودفع إليَّ حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته، كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إني عرضت عليه شيئًا من المال فلم يقبل مني شيئًا، وقال: لو أردت لكان لي من الأموال ما لا يحصى، فسألته عن خبره وذكرت له عجبي منه وألححت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة، وهو شاب حسن، فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أن امرأة ذات زوج، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله، ومتى بت هاهنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع.

قال الخياط: فقمت إليه، فأنكرت عليه، وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي، وغلب المراة على نفسها، وأدخلها منـــزله قهرًا، فرجعت أنا فغسلت الدم عني، وعصبت رأسي وصليت

بالناس العشاء، ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي لننكر عليه، ونخلص المرأة منه، فقام الناس معي، فهجمنا عليه داره فثار إلينا جماعة من غلمانه بأيديهم العصى والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم فضربني ضربًا شديدًا مبرحًا حتى أدماني، وأخرجنا من مترله ونحن في غاية الإهانة، فرجعت إلى مترلي وأنا لا أهتدي إلى الطرق من شدة الوجع وكثرة الدماء فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل، لترجع فتبيت في مترلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من مترله فتذهب إلى مترل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان، هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذا امتلأت الطريق فرسانًا ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن الساعة؟ فقلت: هانذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه، فقالوا: انزل، فترلت فقالوا: أجيب أمير المؤمنين فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئًا، حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالسًا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعًا شديدًا، فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك وليهدأ قلبك، وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي، فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص خبري؟ فقال: أنت آمن، فذكرت له القصة، قال: فغضب غضبًا شديدًا، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حال

كان، فأحضرا سريعًا، فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضًا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعذورة، ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجواري والزوجات؟ فذكر له شيئًا كثيرًا، فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان، وما كفاك ذلك أيضًا حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن له جواب، فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غل، ثم أمر به فأدخل في جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربًا شديدًا حتى خفت، ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد به، ثم أمر بدرًا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرًا صغيرًا كان أو كبيرًا ولو على هذا -وأشار إلى صاحب الشرطة- فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان، فإذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا، قال: فلهذا لا آمر أحدًا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفًا من المعتضد، وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن.

***

العاقبة..

حكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر أن طولون لم يكن أباه وإنما قد تبناه لديانته وحسن صوته بالقرآن وظهور نجابته وصيانته من صغره، وأن طولون اتفق له مع أنه بعثه مرة في حاجة ليأتيه بها من دار الإمارة، فذهب

فإذا حظية من حظايا طولون مع بعض الخدم وهما على فاحشة، فأخذ حاجته التي أمر بها وكر راجعًا إليه سريعًا، ولم يذكر له شيئًا مما رأى من الحظية والخادم، فتوهمت الحظية أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى فجاءت إلى طولون فقالت: إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي وانصرفت إلى قصرها، فوقع في نفسه صدقها فاستدعى أحمد وكتب معه كتابًا وختمة إلى بعض الأمراء، ولم يواجه أحمد بشيء مما قالت الجارية، وكان في الكتاب أن ساعة وصول حامل هذا الكتاب تضرب عنقه، وأبعث برأسه سريعًا إليَّ، فذهب بالكتاب من عند طولون وهو لا يدري ما فيه، فاجتاز بطريقه بتلك الحظية فاستدعته إليها، فقال: إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى بعض الأمراء، قالت: هلم فلي إليك حاجة، وأرادت أن تحقق في ذهن الملك طولون ما قالت له فحبسته عندها ليكتب لها كتابًا، ثم استوهبت من أحمد الكتاب الذي أمره طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير، فدفعه إليها، فأرسلت به ذلك الخادم الذي وجده معها على الفاحشة، وظنت أن به جائزة تريد أن تخص بها الخادم المذكور، فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير، فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم، وأرسل برأسه إلى الملك طولون فتعجب الملك من ذلك وقال: أين أحمد؟ فطلب له، فقال: ويحك أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من عندي؟ فأخبره بما جرى من الأمر، ولما سمعت تلك الحظية بأن رأس الخادم قد أتي به إلى طولون أسقط في يديها وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال فقامت إليه تعتذر مما وقع منها مع الخادم، واعترفت بالحق وبرأت أحمد مما نسبته إليه، فحظي عند الملك طولون وأوصى له بالملك من بعده.

***

سبب مقتل أحمد بن نصر الخزاعي...

كان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، كان جده مالك بن الهيثم من أكبر الدعاة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا، وكان أحمد بن نصر هذا له وجاهة ورياسة، وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث، وقد باعيه العامة في سنة ٢٠١ على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار والدعار في غيبة المأمون عن بغداد، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن، ويدعو إليه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا، اعتمادًا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون من غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ولا سنة ولا قرآن.

فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، والتفت عليه من الألوف أعداد، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان، هما: أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي، وآخر يقال له: طالب، يدعو أهل الجانب الغربي، فاجتمع عليه من الخلائق ألوف كثيرة، وجماعات غزيرة فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها، فتواعدوا على أنهم في الليلة

الثالثة من شعبان وهي ليلة الجمعة يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه دينارًا دينارًا، كان من جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس، وكانا يتعاطيان الشراب، فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدوا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد، وكان ذلك قبله بليلة، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس، فلم يجيء أحد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة، وهو محمد بن إبرهيم بن مصعب، وكان نائبًا لأخيه إسحاق بن إبراهيم، لغيبته عن بغداد، فأصبح الناس متخبطين، واجتهد نائب السلطنة على إحضار الرجلين، فاحضر فعاقبهما، فأقرا على أحمد بن نصر، فطلبه وأخذ خادمًا له فاستقره بما أقر به الرجلان، فجمع جماعة من رؤس أصحاب أحمد بن نصر معه، وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى، وذلك في آخر شعبان فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن دؤاد المعتزلي، وأحضر أحمد بن نصر و لم يظهر منه على أحمد بن نصر عتب، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، بل أعرض عن ذلك كله وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، وكان أحمد بن نصر قد استقتل وباع نفسه وحضر وقد تحنط وتنور وشد على عورته ما يسترها، فقال له: فما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك، قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في**

رؤيته» فنحن على الخبر، زاد الخطيب: قال الواثق: ويحك؟ أيرى كما يرى المحدود المتجسم؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته، قلت: (القائل ابن كثير) وما قاله الواثق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم، ثم قال أحمد بن نصر للواثق: وحدثني سفيان بحديث يرفعه: «**إن قلب ابن آدم بإصبعين من أصابع الله يقلبه كيف يشاء**» وكان النبي ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويحك، انظر ما تقول، فقال: أنت أمرتني بذلك فأشفق إسحاق من ذلك وقال: أنا أمرتك؟ قال: نعم، أنت أمرتني أن أنصح له، فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه، فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضيًا على الجانب الغربي فعزل وكان موادًا لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم، وقال أبو عبد الله الأرمني صاحب أحمد بن أبي دؤاد: اسقني دمه يا أمير المؤمنين.

فقال الواثق: لا بد أن يأتي ما تريد، وقال ابن داود: هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل.

فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي، ثم نهض إليه بالصمصامة، وقد كانت سيفًا لعمر بن معديكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وقد كان صفيحة مسمورة في أسفلها مسمورة بمسامير فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط صريعًا -رحمه الله- على النطع ميتًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وعفا عنه.

ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه، وحمل معترضًا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها، وفي رجليه زوج قيود وعليه سراويل وقميص، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أيامًا، وفي الغربي أيامًا، وعند الحرس في الليل والنهار، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن، ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلى المعاندة والتصريح، فالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه، ثم أمر الواثق بتتبع رؤوس أصحابه فأخذ منهم نحوًا من تسعة وعشرين رجلاً فأودعوا في السجون وسموا الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين، وهذا ظلم عظيم.

وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسمع الحديث من حماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وهاشم بن بشير وكان عنده مصنفاته كلها، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديث جيدة، ولم يحدث بكثير من أحاديثه، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين وذكره يومًا فترحم عليه وقال: قد ختم الله له بالشهادة، وكان لا يحدث ويقول: إني لست أهلاً لذلك.

وأحسن يحيى بن معين الثناء عليه جدًا، وذكره أحمد بن حنبل يومًا فقال: -رحمه الله- ما كان أسخاه بنفسه لله، لقد جاد بنفسه لله.

ولم يزل رأسه منصوبًا من يوم الخميس ٢٨ شعبان سنة ٢٣١ إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة ٢٣٧ فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية رحمه الله وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب كتاب الحيدة، على المتوكل وكان من خيار الخلفاء؛ لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون، فإنهم أساؤوا إلى أهل السنة وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم، فأمره أن يترل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل، وقد كان المتوكل يكرم الإمام أحمد بن حنبل إكرامًا زائدًا جدًا والمقصود أن عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة قال للمتوكل: يا أمير المؤمنين ما رأيت أو ما رئي أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن، فوجب المتوكل من كلامه وساءه ما سمع في أخيه الواثق، فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قال له المتوكل: في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين أحرقني الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا، ودخل عليه هرثمة فقال له في ذلك فقال: قطعني الله إربًا إربًا إن قتله إلا كافرًا، ودخل عليه أحمد بن أبي دؤاد فقال: ضربني الله بالفالج إن قتله الواثق إلا كافرًا، قال: المتوكل فأما ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار، وأما هرثمة فإنه هرب فاجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل من الحي فقال: يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه إربًا إربًا، وأما ابن أبي دواد فقد سجنه الله في جلده -يعني بالفالج- ضربه الله قبل موته بأربع سنين، وصودر من صلب ماله بمال جزيل جدًا[1].

---

(1) البداية والنهاية (١٠/٣٠٣-٣٠٦) تاريخ بغداد (٥/١٧٦-١٧٨).

أما الواثق فكان هلاكه بعلة الاستسقاء سنة ٢٣٢ فلم يقدر على حضور العيد عامئذ، فاستناب في الصلاة قاضيه أحمد بن دؤاد الأيادي المعتزلي، وذلك أنه قوي به الاستسقاء، فأقعد في تنور قد أحمى به بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجعه، فلان عليه بعض الشيء اليسير، فلما كان من الغد، أمر بأن يحمى أكثر من العادة فأجلس فيه ثم أخرج فوضع في محفة فحمل فيها وحوله امراؤه ووزراؤه وقاضيه، فمات وهو محمول فيها، فما شعروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت، فغمض القاضي عينيه بعد سقوط جبينه، وولى غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادي عليهما من الله ما يستحقانه، فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة.

وقد جمع الواثق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته، وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعي ليلحقه إلى بين يدي الله، فلما جمعهم امرهم أن ينظروا في مولده وما تقتضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته، فاجتمع عنده من رؤوسهم جماعة منهم الحسن بن سهل، والفضل بن إسحاق الهاشمي، وإسماعيل بن نوبخت، ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطربلي، وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم فأجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرًا طويلاً، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة من يوم نظروا نظر من لم يبصر، فإنه لم يعش بعد قولهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى هلك، ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله[1].

---

(1) البداية والنهاية: (١٠/٣٠٨).

الرؤيا الصادقة..

كان أبو ثعلبة الخشني في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ثم يرجع إلى المترل فيسجد لله عز وجل، وكان يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تختنقون، فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد، ورأت ابنته في المنام كأن أباها قد مات فانتبهت مذعورة فقالت لأمها: أين أبي؟ قالت: هو في مصلاه نادته فلم يجبها، فجاءته فحركته فسقط لجنبه، فإذا هو ميت -رحمه الله-.

***

أحمد بن نصر الخزاعي...

قال جعفر بن محمد الصايغ: بصر عيني وإلا فعميتا وسمع أذني وإلا قصمتا، أحمد بن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه: لا إله إلا الله.

وقال إبراهيم بن إسماعيل بن خلف: كان أحمد بن نصر خاليًا، فلما قتل في المحنة وصلب رأسه أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت بقرب الرأس مشرفًا عليها، وكان عنده رجال وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت: ١-٢] فاقشعر جلدي، ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والاستبرق، وعلى رأسه تاج فقلت: ما فعل الله بك يا أخي؟ فقال: غفر الله لي وأدخلني الجنة.

وقال أحمد بن كامل القاضي: وكل برأسه من يحفظه بعد أن نصب برأس الجسر، وأن الموكل به ذكر أنه يراه بالليل يستدبر إلى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يسن بلسان طلق، وأنه لما أخبر بذلك طلب فخاف على نفسه فهرب.

وقال إبراهيم بن الحسن: رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر في النوم بعدما قتل، فقال: ما فعل بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله تعالى فضحك إليَّ وفي رواية أنه قال: غفر لي وتوجني بتاج كوني قلت: القرآن كلام الله غير مخلوق إلا أني حصل علي غم ثلاثة أيام، ثم مر علي النبي ﷺ فحين وصل إلى الخشبة التي أنا مصلوب عليها فحول وجهه عني، فقلت: يا رسول الله، قتلت على الحق أم على الباطل؟ فقال: قتلك رجل من أهل بيتي، فلما بلغت إليك استحييت منك، رحمه الله ورضى عنه.

***

الصبر..

قال إبراهيم الحربي: ما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قط حمى وجدتها، الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه ولا يغم عياله، وكان بي شقيقة خمسًا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدًا، ولي عشرون سنة أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحد قط، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جائتني بهما أمي أو أختي أكلت وإلا بقيت جائعًا عطشًا إلى الليلة الثانية، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جائتني به امرأتي أو إحدى بناتي أكلته وإلا بقيت جائعًا عطشانًا إلى الليلة الأخرى، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كان برنيًا أو نيفًا وعشرين إن كان دقلاً، ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهرًا فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، دخلت الحمام واشتريت صابونًا بدانقين، فقام شهر رمضانه كله بدرهم وأربعة دوانق ونصف.

***

الفهرس